الإثنين 16 تشرين الأول 2023
العدد 5036 السنة الثامنة عشرة
Lundi 16 Octobre 2023 nº 5036 18ème année

20 صفحة
50000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

فلسطين

حربٌ إلى النهاية

4

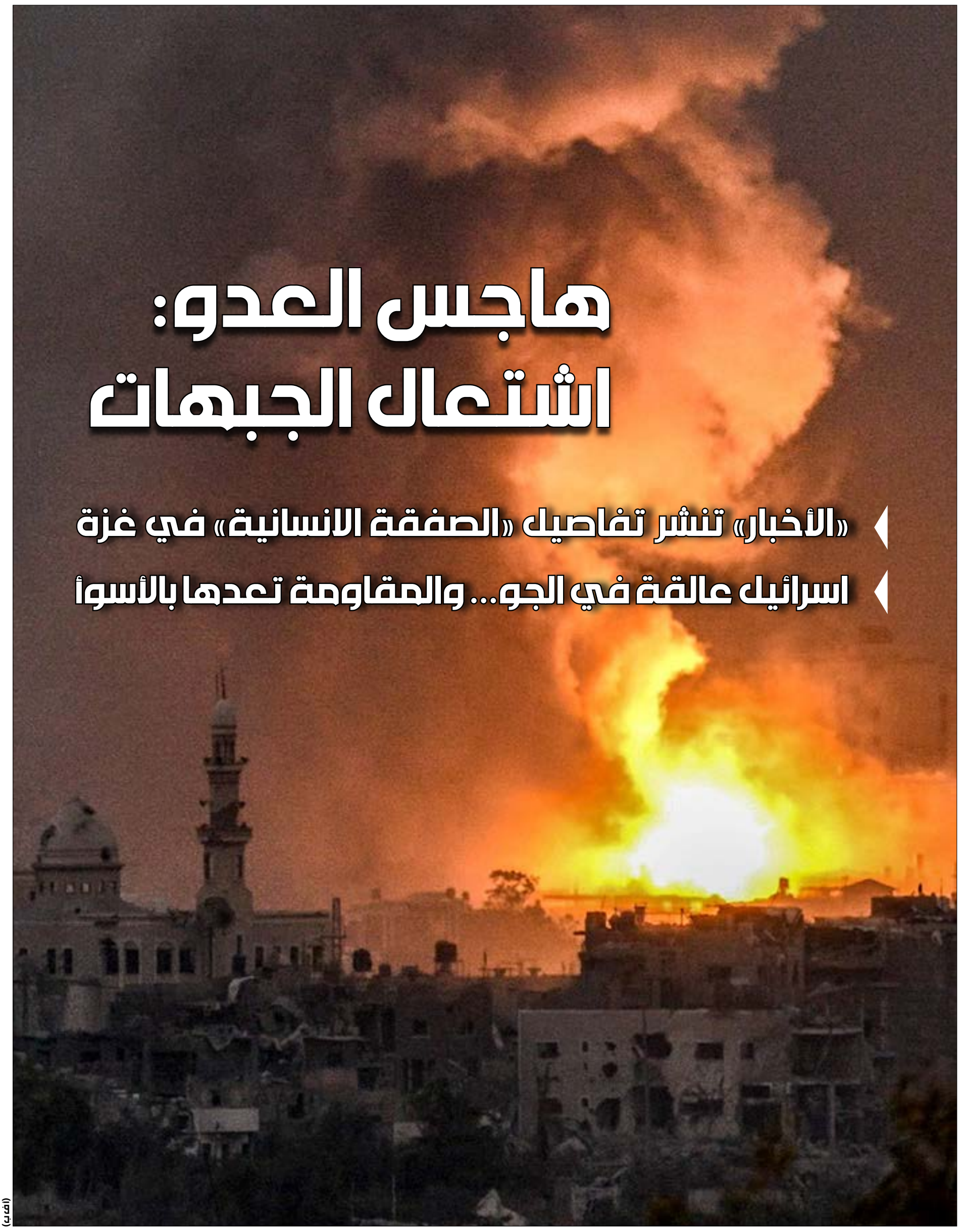

هاجس العدو: اشتعال الجبهات

- «الأخبار» تنشر تفاصيل «الصفقة الانسانية» في غزة
- اسرائيل عالقة في الجو... والمقاومة تعدها بالأسوأ

(أ ف ب)

طوفان الأقصى

أميركا «تهدأ» قليلاً ... والقاهرة تشترط ادخال مساعدات ومنع خروج الفلسطينيين

تفاصيل «الصفقة الانسانية» برعاية قطر ومصر

أسى فلسطينيون في سجون الاحتلال ينتظرون إستعادة حريتهم بشكل اكيد قريبا

إبراهيم الأمين

تتقدّم إسرائيل يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة من إطلاق عدوانها البري على قطاع غزة. لكنّ المعوّقات لا تتعلق فقط بالحسابات التي يراد إقناعنا بها، مثل تدريب القادة على كيفية تجنب إصابة المدنيين كما أبلغ الأميركيون محاوريهم من العرب، بل تكمن أساساً في أن السقف المرتفع الذي وضعه العدو سياسياً، يحتاج إلى عملية برية كبيرة جداً. وعند هذا الحد، يتوقّف المستوى السياسي عن الكلام، ويُترك الأمر لإجابات المستوى العسكري، حيث يتضح أن القادة العسكريين لا يريدون أي مفاجأة في طريقهم، لذلك يفترضون أنه يجب ممارسة المزيد من القصف ليس لإخلاء السكان من شمال غزة فقط، بل لتوفير درجة عالية جداً من الدمار، فيما تشير مصادر مطلعة بالاتصالات إلى أن إسرائيل طلبت دعماً عسكرياً أميركياً خاصاً، ولا سيما مخزوناً كبيراً من القذائف المخصّصة لضرب الأنفاق.

إلى ذلك، تفيد المصادر بأن الحكومة الإسرائيلية التي لا تشهد توافقات تامة حول آليات العمل عسكرياً، تواجه تحدياً يتمثل في إصرار الولايات المتحدة على إفساح المجال أمام هدنة مؤقتة، يجري خلالها إتمام «صفقة إنسانية»، تهدف الولايات المتحدة من خلالها إلى تأمين خروج حاملي الجنسية الأميركية وجنسيات أخرى من سكان القطاع، وإطلاق الأسرى الأميركيين.

وعلمت «الأخبار» أن الجهد الأساسي الذي تبذله الولايات المتحدة مع مصر وقطر يتركّز على هذه النقطة. وقد عُرض على قطر مشروع اتفاق يقضي بإطلاق الأسرى المدنيين كافة، بمن فيهم الأميركيون وإفساح المجال أمام خروج «الأجانب» من القطاع، مقابل إدخال مساعدات طبية وغذائية إلى غزة. وفي المعلومات أن القطريين الذين أبلغوا حماس بالمقترح الأميركي عادوا بأسئلة وأجوبة لم تعجب الأميركيين، مثل:

أولاً، تطلب «حماس» تسليمها قائمة بأسماء من تقول أميركا ودول أوروبية أخرى بأنهم في عداد الأسرى الموجودين في القطاع، والتثبت من كونهم مدنيين أو عسكريين كانوا يقاتلون إلى جانب جيش الاحتلال خلال عملية «طوفان الأقصى». ومن يتبيّن أنهم من العسكريين فإن مصيرهم سيكون مرتبطاً بصفقة التبادل مع الأسرى الفلسطينيين في سجون العدو.

ثانياً، تنفي «حماس» وجود إحصاء شامل لكل الأسرى في القطاع، وقد يتبيّن بعد التدقيق أن من تطالب بهم أميركا قد لا يكونون ممن تم إدخالهم إلى القطاع، وربما كانوا من بين المفقودين الذين لا يزال جيش الاحتلال يبحث عنهم في مستوطنات غلاف غزة.

ثالثاً، تقول «حماس» إن الأسرى ليسوا موجودين جميعاً بيدها أو بيد طرف واحد، وإنهم موزّعون على عدد من الفصائل والمجموعات العسكرية، وإن من سلّمهم المواطنون إلى قيادة الحركة ليسوا كل من تم نقلهم إلى القطاع.

رابعاً، عملية إحصاء كل من هم في عداد الأسرى داخل القطاع تحتاج إلى آلية تتطلب وقتاً غير قصير، وبحثاً يشمل كل القوى والأمكنة، خصوصاً أن عدداً من الأسرى قُتلوا في الغارات التي شنّها العدو، وقد يكون بعضهم لا يزال تحت الأنقاض، خصوصاً من لم تُعرف الجهة التي تحتجزهم.

خامساً، تريد «حماس» هدنة مريحة لا تقتصر على ست ساعات كما يعرض الأميركيون والإسرائيليون، وأن يصار إلى وضع ترتيبات تضمن المساعدات الإنسانية المباشرة مقابل إطلاق المدنيين من الأسرى، وأن العملية الإنسانية يجب أن تكون مضمونة ومقبولة أيضاً، وأن يسمح لأطقم طبية من خارج القطاع بالدخول مع مساعدات كبيرة تحتاج إليها المستشفيات الفلسطينية من جهة، وسيارات إسعاف مجهّزة لنقل أكثر من أربعة آلاف جريح إلى خارج القطاع للعلاج، ممن تبدي دول عدة استعداداً لاستقبالهم، من بينهم مصر.

سادساً، السماح لقوافل المساعدات الموجودة على الجانب المصري من معبر رفح بالدخول إلى القطاع، والوصول بشكل آمن، وضمان عدم تعرضها للقصف، والسماح بتوزيعها على المحتاجين في كل مناطق القطاع، وكل ذلك يتطلب وقتاً لا يمكن حصره بساعات محدودة.

التحفظ المصري

في هذا السياق، أبدى الجانب المصري استعداده للمساعدة، وقالت مصادر رسمية مصرية لمسؤولين في الفصائل الفلسطينية وفي قطر وتركيا إنها جاهزة لاستقبال كل المساعدات الطبية والإغاثية ونقلها إلى القطاع. وأبلغ الرئيس عبد الفتاح السيسي وزير الخارجية الأميركي والقيادات العسكرية المصرية بأنه يجب اتخاذ الإجراءات التي تضمن حصر الخارجين من القطاع بلوائح تُقدم له من قبل الأميركيين وحماس، وأن يصار في الوقت نفسه لانتقال هؤلاء إلى نقل المساعدات، وأن أي محاولة لقيام العدو بفتح النار لترويع الناس ودفعهم إلى المغادرة نحو مصر ستوقف العملية، وأن القرار واضح برفض دخول «أي نازح أو مهجّر» من القطاع إلى مصر.

وعلمت «الأخبار» أن مسؤولين من مصر وتركيا وقطر أبلغوا جهات عدة في غزة وبيروت بأن الضغط لتحريك الملف الإنساني قائم بقوة، وأنه سيصار إلى فرض هذه الخطوات على الإسرائيليين. وقال هؤلاء إن المحادثات التي جرت مع الجانب الأميركي ركّزت على هذه الخطوة. وبحسب ما علمت «الأخبار»، فإن تعهّد هذه العواصم إبلاغ حزب الله بالأمر، سببه أن الولايات المتحدة طلبت منهم حثّ الحزب على «عدم التورط» في الحرب، وأن هذه الرسائل وردت بعدما تلقّت دوائر غربية معلومات بأن الحزب يربط تدخله ليس بتوسيع العملية العسكرية ضد القطاع فقط، بل بتعمّق الأزمة الإنسانية فيه.

هل فشلت محاولة الحلف العربي مع إسرائيل؟

من جهة أخرى، قال ديبلوماسي عربي لـ«الأخبار» إن جانباً رئيسياً من جولة وزير الخارجية الأميركية أنتوني بلينكن في مصر والسعودية وقطر والأردن، تركّز على البحث في إمكانية قيام حلف سياسي تقوده الولايات المتحدة وتشارك فيه تركيا، يعمل على «استثمار العمليات التي تشنّها إسرائيل ضد عدونا المشترك حماس». وقالت المصادر إن الولايات المتحدة التي حصلت على موافقة متوقّعة من جانب الإمارات العربية المتحدة والمغرب، فشلت في الحصول على موافقة مصر والسعودية، وإن الأردن نفسه كما الرئيس الفلسطيني محمود عباس رفضا المقترح، وإن كان لكل منهما حساباته الخاصة.

وبحسب مصدر في قوى محور المقاومة، فإن هدف المقاومة الإستراتيجي في منع تهجير غزة أو كسر المقاومة في القطاع، تقاطع للمرة الأولى مع مصالح «قطرية» لدول وعواصم لا تؤيّد المقاومة. وأشار إلى أن الأردن كشف عبر حديث صريح للملك ووزير خارجيته عن خشية كبيرة من أن التحالف المنشود يستهدف نقله الى الجانب الاميركي.

> «حماس» تطلب وقتاً لإحصاء الأسرى والتثبت من عددهم وجنسياتهم والتمييز بين المدنيين والعسكريين... وساعات قليلة لا تكفي!

تهويل دولي متواصل على لبنان وأسئلة عن المقاومة

حزب الله: توسيع الردّ على العدوّ وصمت سياسي

تواصلت الاتصالات المكثّفة والرسائل والتحذيرات الدولية من «تدخّل» حزب الله في الحرب الوحشية التي يشنّها العدو الإسرائيلي على قطاع غزة، بالتوازي مع تصاعد حماوة التوتر على الحدود الجنوبية. فيما علمت «الأخبار» أن مسؤولاً في وزارة الدفاع البريطانية سيصل إلى بيروت. كما تنشط السفيرة الأميركية في بيروت دوروثي شيا، وتكثّف حراكها في اتجاه المسؤولين اللبنانيين وكل القنوات المحتملة مع الحزب، داعية إلى عدم استخدام الجنوب ضد إسرائيل، ومهدّدة بأن

> ميقاتي ينقل الرسائل الدولية إلى الحزب من دون الحصول على أي جواب

الحكومة»، يعتصم حزب الله بصمت تام إزاء التطورات بالتوازي مع رسائل الحدود النارية.

فبعد وقت قليل على الرسائل المباشرة التي وجّهها وزير الخارجية الإيراني أمير حسين عبد اللهيان بأن «الإعلان عن ساعة الصفر لأيّ إجراء مُقبل في حال استمرار جرائم كيان الاحتلال الإسرائيلي هو بيد المقاومة اللبنانية»، أصدرت الرئاسة الفرنسية بياناً شدّدت فيه على أنّ على «اللبنانيين وحزب الله أن يبقوا في منأى من النزاع، معربة عن «قلق بالغ حيال الوضع المتوتّر على الحدود اللبنانية».

وقالت مصادر سياسية بارزة إن «الحكومة اللبنانية تتلقّى يومياً اتصالات من مسؤولين أميركيين وأوروبيين يدعون إلى الضغط على حزب الله لكي لا ينخرط في المواجهة»، مشيرة إلى أن ميقاتي «ينقل هذه الرسائل إلى الحزب من دون الحصول على أي جواب». فيما تتواصل الاتصالات على كل المستويات، وفي مختلف العواصم المعنية، لاستكشاف موقف الحزب من التطورات. وفي هذا السياق، يزور بيروت بدءاً من اليوم كل من وزيرة الخارجية الفرنسية كاترين كولونا ووزير الخارجية التركي حقان فيدان، فيما علمت «الأخبار» أن مسؤولاً في وزارة الدفاع البريطانية سيصل إلى بيروت. كما تنشط السفيرة الأميركية في بيروت دوروثي شيا، وتكثّف حراكها في اتجاه المسؤولين اللبنانيين وكل القنوات المحتملة مع الحزب، داعية إلى عدم استخدام الجنوب ضد إسرائيل، ومهدّدة بأن «الرد سيكون قاسياً».

داخلياً، تمنّى النائب السابق وليد جنبلاط، بعد لقائه رئيس مجلس النواب نبيه بري في عين التينة، أن «يبقى لبنان خارج هذه الدائرة إلا إذا أصرّ العدو الإسرائيلي على الاعتداء، واليوم نلاحظ الاعتداء اليومي على لبنان من قبل إسرائيل، وما يجري رهيب». فيما شدّد رئيس التيار الوطني الحر النائب جبران باسيل على أنه «لا سلام مع إسرائيل من دون مزارع شبعا والجولان وعودة اللاجئين الفلسطينيين». وتوجّه إلى مَن يسأل عن «علاقة لبنان بكل الذي يجري لنقجمه ضد إسرائيل» بالقول: «فلينظر إلى شهداء الإعلام وجرحاه في جنوب لبنان منذ يومين، وإلى كل الاعتداءات الإسرائيلية على البلد، والتي ردعتها بسالة المقاومة». واعتبر عضو المجلس المركزي في حزب الله، الشيخ نبيل قاووق، أن العدوان الإسرائيلي على غزة هو «تهديد للأمن القومي في لبنان»، وأن أهداف ونتائج العدوان على غزة، «تتجاوز غزة لتصل إلى لبنان وسوريا وكل المنطقة». وشدّد على أن «أي عدوان إسرائيلي على لبنان في أي زمان ومكان سيُقابل بالرد القاسي والعاجل».

ميدانياً، سيطر التوتّر أمس على طول الحدود اللبنانية مع فلسطين المحتلة، وواصلت المقاومة استهداف مواقع وتحصينات إسرائيلية في مزارع شبعا المحتلة وتلال كفرشوبا والمطلة - مسكفعام، واستهدفت المستوطنات في الجليل الغربي وفي القطاع الساحلي الغربي بعدد كبير من الصواريخ. وأعلن حزب الله أنه في سياق الرد على الاعتداءات الإسرائيلية التي استهدفت الصحافيين وأدّت إلى استشهاد الصحافي عصام عبدالله وجرح آخرين، والقصف الذي أدّى إلى إصابة منزل في شبعا واستشهاد مواطنَيْن، استهدف أمس مركزاً لجيش العدو في منطقة شتولا بالصواريخ الموجّهة، ما أدّى إلى وقوع عدد من الإصابات بين قتيل وجريح. وفي السياق نفسه، هاجمت المقاومة عصراً ثكنة حانيتا الصهيونية بصواريخ موجّهة، ما أدّى إلى إصابة دبابتي ميركافا وناقلة جند مجنزرة وسقوط عدد من القتلى والجرحى. كما هاجمت المقاومة موقع الراهب بالأسلحة المباشرة والمناسبة، ثم أعلنت استهداف دبابة ميركافا في الموقع عينه بصواريخ موجّهة، ما أدّى إلى إصابتها إصابة مباشرة ووقوع طاقمها بين قتيل وجريح. كذلك هاجمت خمسة مواقع إسرائيلية حدودية هي جل العلام، بركة ريشا، موقع راميا، موقع المنارة وموقع العباد، وتمّ تعطيل الكاميرات والتجهيزات الفنية الإسرائيلية المثبتة على جدار مستوطنة المطلة. واقترَ جيش العدو بتعرّض مواقعه للهجمات، واعترف بسقوط قتيل وإصابة عدد آخر.

(الأخبار)

استفزاز و«فقْء عيون» على الحافة الشمالية

ليل أمس، أقرّت قوات الاحتلال بمقتل جندي في عملية لحزب الله على الحدود مع لبنان. بهذا، يكون عدد قتلى جيش الاحتلال قد ارتفع إلى خمسة، مقابل استشهاد خمسة من مقاومي الحزب منذ بدء المواجهات قبل أسبوع.

ورغم كل الاتصالات والتهديدات للمقاومة بكلفة باهظة إن هي انخرطت في القتال، إلا أن التقديرات والتوقّعات لدى قيادة قوات الاحتلال، تركّز على أن حزب الله ليس معنياً بالمواجهة». لكن، في رأي مصادر معنية، فإن العدو يبالغ في «طمأنة نفسه بأن الحزب مردوع، وربما لم يقرأ العدو بعد الرسائل الموجّهة يومياً بالنار عبر الحدود، وكيف أن الأمر تطوّر من مواجهات محصورة في مزارع شبعا المحتلة إلى كامل مواقعه على طول الحدود البرية مع فلسطين المحتلة».

ومع كثرة تصريحات قادة العدو، وما يُسرَّب عبر وسائل إعلامه حول «عدم وجود مصلحة لإسرائيل بخوض حرب على الجبهة الشمالية»، يصف هؤلاء ما يجري على الجانب اللبناني بأنه «استفزازات هدفها تشتيت تركيز إسرائيل على الحرب في غزة، وتسهيل الأمور على حماس». غير أن هناك نقاشاً في إسرائيل يتناول مسائل مهنية في ضوء ما يجري على الحدود. وبعد النقاش الذي لم يُحسم بعد حول حرب إلكترونية يقودها الحزب تسبّبت حتى الآن بعشرات الإنذارات الخاطئة، فإن ما حصل خلال الساعات الـ24 الماضية شكّل سؤالاً مهنياً محرجاً، إذ جرى ضرب 18 نقطة إلكترونية للمراقبة عن بعد على طول الحدود، بالرصاص أو بقذائف موجّهة، بهدف تعمية الرؤية من جانب إسرائيل، كما أن هناك تهديداً لأي محاولة لصيانة هذه الأجهزة. وبحسب الإعلام العبري، فإن السؤال لدى المؤسسة الأمنية في إسرائيل لا يزال هو ذاته: «ما هو الخط الأحمر الذي رسمه حزب الله، حتى يعلن بدء الحرب على إسرائيل؟».

(الأخبار)

عين الحلوة يصوّب البوصلة: 3 شهداء على طريق فلسطين

آمال خليل

عام 2008، كانت المرة الأخيرة التي زُفّ فيها مخيم عين الحلوة شهداء سقطوا في مواجهة العدو الإسرائيلي، بعد استعادة رفاقهم في عملية تبادل الأسرى بين حزب الله وإسرائيل. ذلك الرُّفات كان عمره يعود إلى ما قبل ثلاثين عاماً على الأقل، قبل أن تضيّع بعض الفصائل الفلسطينية بوصلة فلسطين وتغرق في حروب الزواريب. أعاد «طوفان الأقصى» تصويب البوصلة في عاصمة الشتات بعد

> تبذّل المزاج كلياً في المخيم الذي كان الياس قد بدأ يدبّ في أوصاله

جولات الاقتتال الداخلي. عند أعتاب الجليل، وفي عمليات اقتحام للمواقع الإسرائيلية على الحدود الجنوبية، استشهد رياض قبلاوي ويحيى عبد الرزاق وأحمد عثمان، من أبناء المخيم، إضافةً إلى صهيب كايد من تجمّع وادي الزينة وحمزة موسى من مخيم البرج الشمالي. وفوق ثرى الجليل، بقيت جثامينهم لتسبق أهاليهم إلى مسقط الرؤوس.

تبدّل المشهد كلياً في عين الحلوة. «طوفان الأقصى» دفع كثراً إلى «مراجعة ذاتية»، حركة فتح عمدت إلى إزالة الدشم التي أقامتها في الاشتباكات الأخيرة من الشارع الفوقاني، المخيم الذي أقام مجالس عزاء قبل شهر لعشرات ممن قُتلوا في اشتباكات فتح والإسلاميين، فتح إحدى قاعات صفوريه لتقبّل التبريكات بشهداء حماس وكتائب القسام (عبد الرزاق وكايد وعثمان) الذين نعتهم الحركة أمس، معلنة أنهم استشهدوا صباح السبت أثناء مهاجمتهم موقعاً إسرائيلياً قُرب مستعمرة مرغليوت في القطاع الأوسط.

حسام أديب، صديق الشهداء الثلاثة، عبّر عن «فخر الجيل الصاعد في عين الحلوة بدماء شهداء طوفان الأقصى التي حفّزت شباب المخيم وباقي المخيمات للقتال من أجل تحرير فلسطين بدل الانشغال بشؤون أخرى». وأكّد أن عبد الرزاق المقيم في حي البراكسات وعثمان المقيم في جبل الحليب، لطالما «عبّرا عن الاستياء من الاشتباكات الداخلية التي تحرف بوصلة الجيل الجديد عن الهدف الأساس».

في زقاق ضيّق متفرّع من حي عرب الغوير، يتقبّل ذوو الشهيد رياض قبلاوي (23 عاماً) التبريكات

أربعة ضباط. سمع قبلاوي من والده وأعمامه عن اقربائه الذين استشهدوا في مواجهات مع العدو خلال حصار عين الحلوة وفي تحرير قلعة أرنون الشقيف وضد جيش العملاء (لحد). ورغم أنه لم يعايش عملية فلسطينية ضدّ العدو في لبنان، لكنه «لم يشكّك باستشهاده بهجوم على موقع إسرائيلي قبالة الضهيرة الإثنين الماضي. يعبّر أهل البيت المتواضع عن الفخر بأن ابنهم، طالب إدارة الأعمال والعلوم السياسية، تمكّن مع رفاقه في مجموعة سرايا القدس التابعة للجهاد الإسلامي من قتل يوماً في عين الحلوة. ويقول: «لا أعرف كيف أصف شعوري، لكنني أشعر بالفخر والاعتزاز. أشعر بأن ابني أصبح ملكاً للجميع، وأن الجميع يحبّه. أشعر بأن ابني أصبح رمزاً، وأن دمه لن يذهب هدراً».

طوفان الأقصى

حربٌ إلى النهاية

عامر محسن

هناك مقولةٌ في عالم الأعمال بأنّ الحروب والأزمات في منطقتنا شرق المتوسّط لا تؤثّر بشكلٍ جدّيّ على البورصة والأسواق العالمية. «ما يحصل في شرق المتوسّط يظلّ في شرق المتوسّط»، قال أحدهم. هذا قد يكون صحيحاً من ناحية أنها بقعةٌ لا تمتلك نفطاً أو موارد طبيعية، ولا تقع على طريق تجاري رئيسي، ولا تلعب دوراً أساسياً في الاقتصاد العالمي. ولكن، من ناحيةٍ أخرى، فإنّ الحروب حول فلسطين كان لها دوماً مغزى سياسي يتجاوز أهميتها الظاهرة. منذ حرب الـ56 ووصولاً

> **مفاجأة كاملة: التخطيط، التنفيذ، كلّ شيء نجح بشكلٍ لا يُصدّق. لا يمكن لفشلٍ إسرائيلي وهزيمة أن يكونا أكثر وضوحاً**

إلى حرب تمّوز، كان كلّ حدثٍ «فلسطيني» و«مشرقي» هو أيضاً حدثاً عالمياً، بمعنى أنّه كان يؤشّر إلى تحوّل كبير ما يحصل على مستوى الكوكب وموازين القوى. مرحلة جديدة تعلن عن قيامها هذه الحرب «المحلية»، أو تترجمها، أو حتّى تقودنا إليها.

الصورة وما خلفها: «السابع من اكتوبر»

الصّورة الأولى، بالطبع، هي ضربة السّابع من أكتوبر. خرجت نظريات مؤامرة، بين العرب وغيرهم، بمعنى أنّ القيادة الإسرائيلية كانت على علم بالهجوم وقد «سمحت» به عن قصد. هذا طبيعيّ، ونحن شعبٌ توحّده هواية البحث عن المؤامرات واكتشافها واختلاقها، فكيف لا تخطر المؤامرة في بالك حين ينجح هجومٌ معقّد، مثل السابع من أكتوبر/ تشرين الأول، بهذا الشكل المذهل؟ المفاجأة الكاملة، التخطيط، التنفيذ، كلّ شيءٍ قد نجح بشكلٍ لا يُصدّق، تمكّن المقاومون من الاختراق في كلّ المحاور، دخلوا مقرّ فرقة غزّة! لا يمكن لفشلٍ إسرائيلي وهزيمة أن يكونا أكثر وضوحاً.

العسكريّون سيجمعون لسنواتٍ قادمة تفاصيل تلك العمليّة، وكيف عطّل الفلسطينيون أنظمة المراقبة والدفاع الآلي، وكيف عبروا السياج إلى الجانب الآخر، وانتظروا قدوم الدبابات كي يضربوها من حيث لا تحتسب. وكيف تمّ الحفاظ على سرّيّة خطّةٍ بهذا الحجم، جرى الإعداد لها لأشهرٍ وبمشاركة الآلاف. ولكن، الآن في الحرب، السؤال الأساسي هو عن خطّة «اليوم التالي»: أنت تستغلّ عنصر المفاجأة في الحرب وتضرب الضربة الأولى لكي تحصّل امتيازاتٍ تسمح لك بحسم المعركة، أن تدمّر قوات رئيسية للعدوّ، مثلاً، أو تحتلّ أرضاً أو تمسك نقطةً محوريّة... من هنا، تعدّدت التفسيرات، منذ اللحظة الأولى، حول الهدف الفعلي لـ«حماس» من تنفيذ الهجوم. هل هو جزءٌ من خطّةٍ أوسع لا تقتصر على غزّة؟ هل هي فرصةٌ قد سنحت للتنفيذ فتمّ اغتنامها؟ أم، حتى، هل هو «عملية» قد نجحت أكثر ممّا كان متوقّعاً لها؟

أنا أميل إلى تفسير يقول بأنّ «حماس» والمقاومة تريدان، عن قصدٍ، استدراج العدوّ إلى عملٍ برّيّ في غزّة. والعدوّ لن يجتاح غزّة إلّا إن قمت بفعلٍ «كبير» يجبره على ذلك. نحن لا نعرف ولكن، إن كانت لديهم ثقة في قدرتهم على خوض حربٍ دفاعيّة، ومعهم عشرات الآلاف من المقاتلين في الأنفاق والتحصينات، حيث لا يكاد ينفع الطيران، فقد تنجح في تحقيق ما لم تتمكّن من فعله في بيروت. في هذه الحالة، فإنّ السيناريو الأسوأ قد لا يكون في الحرب والمواجهة، بل في استمرار الوضع كما كان عليه: أن تكون المقاومة «حاكمة تحت الحصار»، وإسرائيل تخسر حفنة من الجنود سنوياً مقابل عزل غزّة. ويتم استنزافها ببطءٍ فيما التطبيع يسير عربيّاً. ويتمّ «الاعتياد» على الحصار كحالة دائمة إلى درجة أن يُقام، بكلّ شعور بالأمان، حفل موسيقي صاخب على مرمى حجر من القطاع. كلّ هذه الافتراضات قد انتهت إلى غير رجعة. وحين تندفع إسرائيل إلى خيار الغزو، وتبدأ بدرسه وفهم الخطوات التي أمامها، ستفهم بسرعة حجم الورطة. فلنفترض «السيناريو الأقصى»، وأن الجيش الصهيوني قد نجح - بشكلٍ ما - في احتلال غزّة وقمع «حماس» وفصائل المقاومة بالمعنى الرّسمي الظاهر. هنا، كيف ستحكم مليوني فلسطيني الكثير منهم مدرّب ومنظّم وعدوّه منذ ولد هو الاحتلال؟ سوف تحتاج إلى أكثر من خمسين ألف جنديٍّ بشكلٍ دائم للسيطرة على غزّة وحراستها، وبدلاً من أن يخسر جيشهم خمسة جنود في السنة سوف يُقتل خمسة في كلّ يوم. من هنا، وليس من حاسّة الانتقام والكراهية وحدها، بدأت تخرج في إسرائيل، بسرعةٍ، الطروحات الإباديّة من نوع تهجير أهل غزّة ونقلهم إلى مصر ومحاصرتهم بالمجازر، فيما سلاح الجوّ يجعل من القطاع بأكمله مكاناً غير صالحٍ - بعد الحرب - للسكن والحياة.

حاملات الرسائل

الصّورة الثانية كانت دخول الأساطيل الغربية مياهنا مهدّدة. نعرف جميعاً أنّ إسرائيل لا تحتاج إلى «دعم» من أميركا، أو مزيدٍ من الطائرات أو التكنولوجيا في وجه «حماس» ومن معها. هذه البوارج هي رسائل واضحة للعالم وللإنسان العربي، مفادها أنّ إسرائيل هي بلد من دول «المركز»، وليست بلداً تافهاً مثلك. هي كأنها جزءٌ من «الناتو»، وسيأتون بأنفسهم للدفاع عنها إن تعرّضت لأيّ تهديد. إسرائيل، من غير شكّ، سوف تستغلّ الحرب لكي تحاول توريط أميركا في شيءٍ أكبر، ولكن واشنطن قد لا تريد خوض حروب تختارها لها إسرائيل. مع ذلك، هم أرسلوا سفنهم ليقولوا للصهاينة إنهم يضمنون أمنهم، ثمّ أعطوا قادة إسرائيل إذناً مطلقاً بأن يفعلوا ما يريدونه في غزّة، ولو كان خيارهم الإبادة.

لا بدّ من أنّ رد الفعل الأساسي لدى محمّد بن سلمان، حين يراقب هذه الصّورة، هو الحسد. إن كان يمكن تلخيص سياسات ابن سلمان في السنوات الماضية، فهي تتمحور حول هذه النقطة تحديداً: أن تنتقل السعوديّة إلى موقع في «المركز»، سياسياً واقتصادياً، وأن يتمّ الاعتراف بها كذلك. أن لا تظلّ بلداً «طرفياً»، دوره الوحيد في النظام العالمي هو تصدير النفط والرساميل، مثل كازاخستان. بلدٌ يعيش على وقع أسعار النفط وستنتفي أهميته فوراً مع نضوبه. أو يُترك «وحيداً»، كما اشتكى النظام السعودي، لكي يهزم في اليمن وتُضرب عاصمته ومنشآته الحيوية. مشروع التطبيع السعودي مع إسرائيل، أو العودة عنه، والشدّ والجذب في العلاقة مع أميركا، وفتح القنوات مع بعض خصوم واشنطن، تفسير هذا كلّه هو في رغبة ابن سلمان بأن تتمّ دعوته إلى «الطاولة»، وليس أي شيءٍ آخر. وهذا ديدن كلّ القوى «الثانوية» التابعة على مرّ التاريخ: أن تطمح إلى الارتقاء في مستوى علاقتها مع الحليف المهيمن. وهذا، في عالمنا، لا يمكن أن يحصل إلا وأنت صديقٌ لإسرائيل وحليف. أمّا على النقيض من طموحات وليّ العهد، فإنّ من يؤمن بالمقاومة يفهم من البوارج الغربيّة قاعدةً قديمة ولكن كثيراً ما يتمّ تناسيها: أنت لا يمكن أن تحرّر فلسطين، أو حتى تفرض على إسرائيل شيئاً، من دون أن تهزم أوّلاً أميركا وتتحرّر منها (أقلّه في إقليمك).

العجوز الحاقدة

الصّورة الثالثة كانت في خروج ذلك التصريح الأوروبي عن قطع كلّ المساعدات عن الفلسطينيين، ووضع شروطٍ سياسية عليهم الالتزام بها (من نمط أن يتعلّموا حبّ إسرائيل وأن يتوقفوا عن كراهيتها)؛ هذا قبل أن يتمّ التّراجع رسمياً عن هذا الطرح. وذلك لم يكن لأنّهم يرون الإجراء خطأً بل لأنه «مستعجل»، لم يحن أوانه بعد. الفكرة هنا واضحة، وهي كانت دوماً واضحة لمن يريد أن يرى: هل كنت تعتقد أنّ هذا المال مجّاني؟ هل صدّقت الأسطورة عن مساعدات من غير مقابل؟ هل كذبوا عليك وقالوا إن النفوذ الأوروبي هو غير النفوذ الأميركي، والأخير غير النفوذ الإسرائيلي؟ كلّ من يعمل لدينا، كلّ من يأكل من مالنا، كلّ من يعيش على أرضنا، سوف تُقدّم له فاتورة سياسية في وقتٍ ما، وسيكون عليه أن يلتزم. حتّى التعبير اللفظي سوف يُحاسب عليه.

المشكلة هنا هي أن الأوروبيين هم آخر من يحقّ له أن يتكلّم مع الفلسطينيين بهذه الطّريقة. لا شيء أسوأ من أن تستمع إلى مسؤول أوروبي أو مسؤولة سويديّة وهم «يؤنّبون» المحاصَرين ويحاضرون فيهم ويطلبون منهم أن «يجلسوا بهدوء» في قطاعهم ولا يزعجوا إسرائيل. هناك أناسٌ كثر قد ولدوا وعاشوا وماتوا في غزّة تحت ظروف الحصار، لم يعرفوا غيرها. وأجيالٌ كاملة تكبر وتنضج في هذه الظروف، أصبح حصار غزّة، وعمره يقترب من العشرين عاماً، أطول مدّةً من حصار العراق. لماذا يمكن أن يقبل أيّ عاقلٍ بالتطبيع مع هذه الوضعية لشعبه؟ كيف يقرّرون أن أولادنا يستحقّون أن يكبروا ويعيشوا بهذه الطريقة؟

ما أريد الوصول إليه هو أنّ أوروبا كانت تاريخياً سيئة للغاية مع الفلسطينيين. وهم بدلاً من أن يشعروا بالذنب بسبب دورهم في فلسطين، يحاضرون فيهم بثقة النرجسي. عدا دور الأوروبيين في قيام دولة إسرائيل، ودعمها وتسليحها وتزويدها بتقنيات السلاح النووي، هم كذبوا في ما بعد على الفلسطينيين حين دفعوهم - بضمانتهم - إلى الدخول في عملية سلام، تبيّن أنها خديعة، وأنّ إسرائيل ستستخدمها لسلبهم ما تبقّى من حقوقهم فيما هم «يجرجرونهم» في المفاوضات (وهو ما قاله صراحةً أكثر من قائدٍ إسرائيلي). بعد كلّ هذا التاريخ يصبح هناك شيء ثقيل في أن تشرف أوروبا، للمرة الثالثة خلال أقلّ من قرن، على التطهير العرقي للشعب الفلسطيني.

بعد اليوم، الخيارات ستصبح بطبيعتها أكثر «جذريّة»، والمنطقة الرماديّة ستضيق. لا أحد سينجو والدّور يقترب من الجميع. بعد أن يستفيق الإسرائيليون من الصفعة، فإنّ الدّرس الذي سيتعلّمونه ممّا جرى هو أن يكونوا أكثر عدائيةً معنا وأن لا يسمحوا لتهديدٍ آخر بالنموّ في خاصرتهم. إن كانوا قد خسروا، في يوم واحد، عدداً من الجنود يفوق بأضعافٍ ما خسروه طوال حرب تمّوز 2006، فالحساب الصهيوني، من غير شكّ، سيكون أنه من الأفضل أن يُقتل جنوده في حربٍ هجوميّةٍ ضدّ الأعداء، ولا يسمحوا لهم بالدخول عليهم مجدّداً. المجزرة قائمة ولكنّ الحرب الحقيقيّة لم تبدأ بعد. نحن ما زلنا في البداية وكلّ ما نعرفه عن إسرائيل «القديمة» وقواعد النار على الجبهات قد تغيّر، والأيّام القادمة هي أيّام سلاح.

المجزرة قائمة، ولكنّ الحرب الحقيقية لم تبدأ بعد (أ ف ب)

خاتمة

فيما كانت الاشتباكات تدور على جبهة الجنوب، وصواريخ المقاومة تصطاد ما تشاء من أهداف، وتتحكّم في اختيار مستوى الأذى الذي تلحقه بالجيش الإسرائيلي، فكّرت في المسافة التي قطعناها منذ الثمانينيات وما قبلها. وحين كانت أسماء المواقع الإسرائيلية وقرانا الحدودية تُذاع، تذكّرت المرّة الأخيرة التي رأيت فيها تلك الأماكن. اتّصل بي فجأة إبراهيم الأمين طالباً منّي أن أتحضّر في الصباح الباكر للذهاب في جولة. كان يوماً لم يخلُ من الغرابة، كأن تدخل السيارة فتجد رجلاً جالساً في الخلف بصمتٍ يحمل كاميرا يوجّهها إليك، ويصوّرك طوال اليوم ولا يقول كلمةً واحدة. وكل الأمور في حياتي، منذ دخلت «الأخبار»، أصبحت

> **أوروبا، العجوز الحاقدة، بدل أن تشعر بالذنب بسبب دورها في فلسطين، تحاضر على شعبها بثقة النرجسي**

مجبولةً بقدرٍ من الغرابة (the bizarre). المهمّ، تعرّفت يوميّاً إلى تلك المواقع، وإلى الناس الذين يحفظون اسم كلّ وحدةٍ للعدوّ على الجانب الآخر، ومسار كلّ سيارة، وموقع كلّ جهاز للمراقبة. مسؤولٌ في لعبة التضليل القائمة مع الاحتلال، يتحدّث عن إجراءات العدوّ كمن يواجه مشكلة شخصيّة عويصة لا بدّ من حلّها، يهزّ رأسه بعصبيّة «لديهم الكثير من التكنولوجيا، الكثير». الأكمة التي تخفي مربضاً خلفه بابٌ خلفه نفق. المبنى «العادي» الذي تدخله، فتجد قاعةً مرصوفة بشاشاتٍ تعرض كلّ ما يجري على الجانب الآخر من الحدود. ورجالٌ وشباب ما إن يخرجون عن طور العمل حتّى يجلسوا بمرح ويبدأوا برواية القصص من حياتهم المثيرة، عن أيّام المقاومة في التسعينيات أو عن علاقتهم بالحاج رضوان؛ ثم يتضاحكون وهم يطلبون من أحدهم أن يروي ما حصل معه وهو يحاول العبور بالزورق إلى اليمن. هم أيضاً أطعمونا، تناولنا معهم الفطور في مركزٍ قرب الحدود، والغداء في مكانٍ ليس بعيداً عن مدينة صور. الفطور - جلسنا على حصير بسبب طبيعة المكان - كان لبنانياً تقليدياً متنوّعاً، مع خبز مرقوق طازج، والغداء أيضاً كان مصنوعاً في منزل، وكان هذا أشهى طعامٍ أكلته في حياتي.

الضغط الناري لم يُضعف المقاومة: أداءٌ مدروس، مبادرة حيّة، واستعداد للأسوأ

غزة - يوسف فارس

رغم الضغط الإسرائيلي المركّز، الذي يطاول حتى اللحظة الحاضنة الشعبية للمقاومة التي دفعت الضريبة الأكبر، والبنية التحتية مثل المدن السكنية وخطوط الكهرباء والإنترنت والشوارع والمؤسّسات الخدمية والحيوية، فإن المقاومة تبدي حتى اللحظة قدرة لافتة على العمل المبادر والتصرّف البارد المدروس.

إذ حافظت «كتائب القسام»، الذراع العسكرية لحركة «حماس»، حتى يوم أمس، على استمرارية هذا العمل الذي يستهدف المواقع العسكرية المحاذية للقطاع، حيث شهدت قواعد «زيكيم» و«نير عام» و«كوفسيم» عمليات اقتحام وإنزال خلف خطوط العدو، فيما لم يتثنّ جيش الاحتلال، حتى اللحظة، من تمكّنه من «تطهير» المواقع التي تعرّضت للهجوم. كذلك، واصلت المقاومة قصف الحشود البرّية على الحدود، بالقذائف والصواريخ الموجّهة، في حين بدا لافتاً بثّ «القسام» مشاهد حيّة لعمليات الاستهداف، لا تُظهر المقاومين الذين ينفّذون العمل العسكري، إنما آليات الاحتلال التي تتعرّض للهجوم والضربات. وبالنظر إلى وضعية المناطق الحدودية، التي يواصل جيش العدو قصفها بالمئات من القذائف والصواريخ الثقيلة، فإن استمرار العمل العسكري من تلك المواقع، يدلّل على أن المقاومة لا زالت، رغم قصف الحدود بأكثر من 5000 غارة، تمتلك طرق الإمداد والهجوم والقدرة على الانسحاب الآمن.

وعلى صعيد القوة الصاروخية، واصلت كلّ من «كتائب القسام» و «سرايا القدس» إطلاق رشقات صاروخية مكثّفة، استطاع غالبيتها الوصول إلى أهدافه في مدنية عسقلان على بعد 40 كيلومتراً، وحتى إلى حيفا وصفد وتل أبيب على بعد أكثر من 250 كيلومتراً من القطاع. والظاهر أن ثمّة تكتيكاً مدروساً جداً في اختيار تواقيت إطلاق الصواريخ، على النحو الذي يضمن تحييد منظومة «القبة الحديدية». وفي هذا الإطار، يقول خبير عسكري تحدّثت معه «الأخبار»، إن «المقاومة تختار اللحظة التي تتحرّك فيها أسراب الطائرات الحربية إلى القطاع، حينها، تتوقّف منظومة القبة الحديدية عن العمل، كي لا تُصيب أيّاً من الطائرات بنيران صديقة، لتشرع المقاومة في فتح النار تجاه مدن الغلاف والعمق، وهو ما يفسّر تحييد القبة الحديدية بصورة شبه كاملة». ويلاحظ الخبير العسكري، أيضاً، أن «المقاومة لا تستخدم الصواريخ عشوائياً، أي إنها تضرب بكثافة عددية لتحقّق عنصر الضغط والإيذاء في العمق، من دون إفراط، كي تحافظ على مخزونها الصاروخي لأطول مدى ممكن، في حال استمرّت الحرب لأسابيع أو شهور (...) وبعكس ذلك حقّقة أن ثمّة تخطيطاً جيداً وتنسيقاً بين القوّتين الكبيرتين في هذا المجال، حماس والجهاد الإسلامي».

> **ما هو أكيد وموثوق، أن ثمّة خطة موضوعة سلفاً للتصدّي لأيّ هجوم برّي**

على صعيد الإدارة الإعلامية للمعركة، يواصل الناطقان باسم «القسام» و«السرايا» ظهورهما الإعلامي، فيما يشير سلوك الأولى إلى تقصّد توجيه ضربات «تحت الحزام»، تُسهم في اللعب بالجبهة الداخلية لكيان الاحتلال. إذ نشرت «الكتائب»، مرّتين منذ بدء المعركة، أن القصف الإسرائيلي تسبّب في مقتل 9 جنود أسرى في أوّل مرّة، و7 جنود في المرّة الثانية، وهو ما دفع المئات من المستوطنين من أهالي الأسرى، إلى التظاهر أمام مبنى «الكرياه» للمطالبة بإقالة بنيامين نتنياهو واستعادة «الرهائن» من غزة من دون قتلهم.

العملية البرية

رغم التعاطي الجدّي مع تهديدات الاحتلال بشنّ عملية برية، فإن ثمّة شعوراً جمعياً بين الأهالي، بأن المنطقة بأسرها تنتظر حدثاً دراماتيكياً من الجبهات الخارجية المساندة، سيحول دون التقدّم البرّي في غزة، فيما بدا واضحاً قدر التفاعل الإيجابي مع أيّ فعل تقوم به المقاومة الإسلامية في شمال فلسطين المحتلة. أمّا على الصعيد العسكري، ومع أن المقاومة لم تتعرّض منذ 15 عاماً لعملية تمهيد ناري بهذا الزخم، فإن ما هو أكيد وموثوق أن ثمّة خطة موضوعة سلفاً للتصدّي لأيّ هجوم برّي. وفي هذا السياق، قال نائب رئيس المكتب السياسي لحركة «حماس»، صالح العاروري، في تصريحات عبر قناة «الجزيرة» القطرية، إن «خطّتنا الدفاعية تفوق في إتقانها وتجهيزها بمراحل الخطّة الهجومية التي شاهدتموها في عملية العبور، طوفان الأقصى».

حتى اللحظة، لا يمكن التنبّؤ بما ستحمله تلك المرحلة من مفاجآت، ولكن إيمان الأهالي بقدرة المقاومة على مواصلة العمل المتقن، ورفض الحاضنة الشعبية خطّة التهجير، والذي عبّرت عنه بمسيرات جماهيرية حاشدة، انطلقت عفويّاً في مختلف مناطق شمال غزة، حيث الحصّة الأكبر من المجازر الجماعية والقصف، يرسم بعضاً من معالم الأيام القادمة، والتي تبدو إلى الآن مائلة لمصلحة المقاومة، رغم الارتفاع المتوقّع في الكلفة البشرية والمادية.

لا يمكن التنبؤ بما ستحمله المرحلة المقبلة من مفاجآت (أ ف ب)

طوفان الأقصى

إسرائيل عالقة في الجوّ: لا بدّ من النزول إلى الأرض... ولكن

يحيى دبوق

من المرجّح أن يباشر جيش الاحتلال الإسرائيلي تنفيذ خطّته البرّية في قطاع غزة، خلال اليومين المقبلين، ما لم تتغيّر المعطيات الميدانية لديه. ويُتوقّع، بدايةً، أن يكون توغّله محدود النطاق والأهداف، على أن يتمّ اتّخاذ قرار الانتقال إلى المرحلة الثانية، في ضوء تقييم نتائج المرحلة الأولى والعوائق التي واجهتها، علماً أن المرحلة الثانية عادةً ما تكون أكثر شمولية واوسع من حيث الحيّز الجغرافي وأقرب إلى خطوط التماس مع المدافعين. على أنها لن تكون، على أيّ حال، النهائية، ولكن مُقدّمة لازمة لما سيعقبها، أي إن الفعل العسكري الذي يليها، سيتحدّد وفقاً لنتيجتها، وبناءً عليها. وبمعنى آخر، لا يوجد خيار برّي شامل محدّد مسبقاً، بل مجموعة من الخيارات المتتالية. أمّا العوائق التي ستواجه الخيار البري، والتي قد تفرملـه أو تحدّ من حيّزه الجغرافي ومداه، فهي ردّ فعل الطرف الآخر، سواء في القطاع أو في خارجه. ومع ذلك، تدرك تل أبيب جيّداً، وكذلك حلفاؤها، أن إنهاء الحرب التي أعلنتها على غزة، من دون إسقاط حُكم «حماس»، وكذلك سحق الحركة نفسها، هما خسارة مُركّبة على أكثر من مستوى وفي أكثر من اتّجاه، على رغم الكلفة البشرية القاسية التي تُكبّدها للفلسطينيين منذ بدء عدوانها، عبر المجازر والتدمير والتهجير. ولكن، بلا سحق «حماس»، تكون تل أبيب قد استعادت قدراً من ردعها، سيبقى منقوصاً؛ والرّدع المنقوص، في الحالة الإسرائيلية الراهنة، مثله مثل انعدام الرّدع من أساسه. أمّا إنهاء الحرب من دون «السحق» الذي توعّد به قادة العدو، والذي قال عنه رئيس حكومته، بنيامين نتنياهو، إنه «سيُغيّر الشرق الأوسط»، فسيؤدّي بشكل رئيس إلى تكبير الانتصار الذي حقّقته الحركة في أول يومين من المعركة.

«من الصعب المواءمة وتحقيق التوازن بين الساعة العملياتية والساعة السياسية»

وفي الحدّ الأعلى لأهداف الحرب الإسرائيلية على غزة، والخيارات البرية من ضمنها، تأمين ما يَلزم من إنجازات عسكرية للمؤسّسة السياسية، وذلك لفرض شروطها وإرادتها على الطرف الآخر، بما يُؤمّن مصلحة إسرائيل، في اليوم الذي يلي الحرب، من حيث الترتيبات السياسية أو الأمنية. وفي الحدّ الأدنى، يهدف العدو إلى تدفيع حركة «حماس» والفلسطينيين ثمناً مرتفعاً جداً، حتى لا تُعاد الكرّة من جديد، سواء في فلسطين أو غيرها من الساحات. إلّا أن الحدّ الأدنى، لا يَخلو من تهديدات، إذ إنه لا يُلبّي مصالح إسرائيل، على كلّ المستويات وفي كل الاتجاهات. وقياساً بالنتيجة المطلوبة إسرائيلياً، لا تزال الحرب في بداياتها. أمّا قياساً بما هو ممكن، فلا يقين ولا إجابات واضحة. ومن هنا، يأتي الحديث المفرط في الإعلام العبري، عبر تسريبات وتوجيهات المؤسّستَين السياسية والأمنية في تل أبيب، عن الخيار البري وقربه، وإرادة «السَحق» التي ستنجزها إسرائيل من خلاله. ولا يكاد يتوقّف الحديث عن العمل البري، ومنه ما حدّد قُربه بالساعات، فيما تحدّث آخرون عن أنه سيتمدّد لأسابيع، مع سماح دولي لإسرائيل بفعل ما تريد بلا ضوابط.

بلا سحق «حماس»، تكون تل ابيب قد استعادت قدْراً من ردعها، سيبقى منقوصاً (أ ف ب)

إلى الآن، لم يتبدّد الانتصار الفلسطيني، على رغم المجازر التي ترتكبها إسرائيل في حقّ المدنيين. وإلى الآن، تريد إسرائيل، من الخيار البرّي أن يُحقّق النتيجة المرجوّة بأقلّ قدر ممكن من المواجهات، عبر تجزئة هذا الخيار إلى مراحل، يُحدّد قرار ومدى ونطاق وأهداف كل منها في حينه، أي يوماً بيوم. ومن هنا، فإن الأهداف التي وضعتها إسرائيل لنفسها من الخيارات البرية، قد تكون فرصة للفلسطينيين؛ فعدم «سحق حماس دفعةً واحدة وإلى الأبد»، هو هدف يُهدّد عدم تحقيقه أيّ إنجاز إسرائيلي، لأنه سيكون مقياس الهزيمة والانتصار، لدى عامة الإسرائيليين. ولعلّ صحيفة «هآرتس» لم تخطئ في تقديرها أمس، عن أن نافذة الفرصة المتاحة أمام إسرائيل لإنجاز ما تريده في غزة، ليست مفتوحة، وأنها ستكون آخذة في الانغلاق قريباً. و«كما كان الحال عليه في الماضي، من الصعب المواءمة وتحقيق التوازن بين الساعة العملياتية والساعة السياسية»، في الحرب (على غزة)، كما قالت الصحيفة.

مصر تستعدّ للإغاثة: «لا» مستمرّة لاستضافة اللاجئين

القاهرة - الأخبار

رسائل عديدة سعت القاهرة، خلال الساعات الماضية، لإيصالها إلى واشنطن، مفادها أنّ التهدئة ومعالجة الوضع الإنساني في غزة تمثّلان أولوية، وأن التصعيد، وعمليات التهجير القسري، فضلاً عن فرض الحصار بهدف الصورة، كلّها ستؤدّي إلى انفجار يهدّد أمن كيان الاحتلال. وشهدت القاهرة، يوم أمس، لقاءات على مستويات عدّة، حيث استقبل الرئيس عبد الفتاح السيسي، وزير الخارجية الأميركي، أنتوني بلينكن، الذي يعود اليوم إلى تل أبيب لمناقشة نتائج جولته في المنطقة، والتي شملت كلاً من الأردن والسعودية وقطر والبحرين، واختُتمت في مصر، التي شدّدت أمام ضيفها على «ضرورة معالجة الوضع الإنساني في غزة في أسرع وقت، والمباشرة في مفاوضات جادّة من أجل التهدئة»، وهو ما لا تزال إسرائيل ترفضه.

وذكرت مصادر مصرية مطّلعة، في حديث إلى «الأخبار»، أن الرسائل التي حمّلها السيسي، ضيفه، تضمّنت دعوة إلى وضع خطّة مدروسة وسريعة بما يضمن سلامة من سَهامهم «المدنيين» على الطرفين، والتنبيه إلى أن التصعيد الأخير جاء نتيجة تراكمات، وتصاعد العنف والتطرّف الإسرائيليَّين تجاه الفلسطينيين، فضلاً عن تكرار الانتهاكات في حقّ المقدّسات الدينية. وقالت المصادر إن القاهرة التي برّرت تحركات المقاومة باعتبارها ردّ فعل على التصرّفات الإسرائيلية، «أبدت غضباً ملحوظاً على التعالي غير المبرّر الذي يُظهره المسؤولون الإسرائيليون، ورفْضهم أيّ حلول أو معالجات لا تتبنّى بالكامل وجهة النظر الإسرائيلية»، معتبرةً أن «إعادة الأمور إلى ما كانت عليه قبل التصعيد الأخير، أمر لا يزال من الممكن تحقيقه، لكنّ قادة الاحتلال لا يرغبون بذلك لأسباب مرتبطة بمشاكلهم السياسية في الداخل، والتي لا يجب أن يدفع ثمنها الفلسطينيون الذين يتعرّضون لاستهدافات ترتقي إلى جرائم حرب».

أيضاً، كشفت المصادر أن القاهرة طلبت بشكل واضح أن يكون هناك «تنسيق من أجل فتح ممرّ آمن يسمح بخروج الأجانب من غزة، وإدخال المساعدات في أسرع وقت ممكن، سواء عبر معبر كرم أبو سالم، أو

أعدّت السلطات المصرية خطّة واسعة النطاق للتعامل مع الوضع في قطاع غزة

معبر رفح، وذلك لتلبية احتياجات السكان»، وهي أمور جرى التفاوض في شأنها مع وفد أمني إسرائيلي زار العاصمة المصرية ليومين، ولكن من دون أن يجري التوصّل إلى أيّ نتيجة. وفي هذا الوقت، أعدّت السلطات المصرية خطّة واسعة النطاق للتعامل مع الوضع في قطاع غزة، تشمل إيواء أكثر من مليوني شخص وتوفير الرعاية الصحية والعلاجية لهم على الجانب الفلسطيني من رفح، من دون السماح لهم بالدخول إلى سيناء. ووفق الخطّة التي تحدّثت عنها مصادر مصرية، إلى «الأخبار»، فإن «القاهرة أنهت تجهيزات لإقامة أهالي غزة في المنطقة التي يُفترض أنها ستكون آمنة من الغارات الإسرائيلية، على أن توفّر لهم كلّ الاحتياجات من أغذية وأدوية، في محاولة للحدّ من تداعيات الحصار المفروض على القطاع، ولجم احتمال تكرار سيناريو اقتحام الحدود المصرية في ظلّ التصعيد المتوقّع في الأيام المقبلة».

واستناداً إلى الخطّة نفسها، ستقوم القاهرة، بمساعدة شركاء إقليميين، بإدخال المساعدات اللازمة إلى غزة، بما يضمن صمود الفلسطينيين في مواجهة عمليات التهجير. وإذ يتوقّع المصريون أن يواصل الإسرائيليون سياسة التدمير الواسع للمناطق السكنية في القطاع خلال الأيام المقبلة، بذريعة «تدمير البنية التحتية لحركة حماس»، فهم يحاولون، من خلال اتصالات مكثّفة مع الجانبَين الأميركي والإسرائيلي، الضغط لوقف عمليات التدمير تلك. كما سيسعون لضمان بقاء الجانب الفلسطيني من الحدود آمناً ومستقراً لأطول فترة ممكنة، وتجنّب زيادة الاحتقان الشعبي، مبدين التزامهم بتخفيف الحصار الإسرائيلي، وهو الأمر الذي طلبت مقابله مصر دعماً مالياً واقتصادياً من دول خليجية، في مقدّمها قطر التي أظهرت مساندة للمواقف المصرية. وتعتمد الخطّة، كذلك، على ضمان إدخال المساعدات والقوافل الإنسانية عبر معبر رفح وتوزيعها وفق آليات اتفاق وتنسيق مع ممثّلي حركة «حماس» ومنظّمات الإغاثة الإنسانية المختلفة، سواء المصرية أو الأممية. وبحسب المعلومات، تسعى واشنطن أن تكون عمليّة إدخال دفعة المساعدات الأولى في مقابل إخراج الموظفين الأميركيين والأوروبيين الموجودين في غزة، عبر المعبر الذي لا تزال تفاصيل عمله محطّ مناقشات مستفيضة ومعمّقة يفترض حسمها خلال زيارة بلينكن لتل أبيب اليوم.

«الأونروا» تنفض يديها: لا شأن لنا بالنازحين!

غزة - يوسف فارس

لم تُظهر «وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين» (الأونروا) دوراً سلبياً خلال أربع حروب سابقة عايشها قطاع غزة، خلال الـ15 عاماً الماضية، كما أظهرت اليوم. منذ اليوم الأول، وحينما فرّ من القصف المهول عشرات الآلاف من المواطنين من سكان مدينة بيت حانون أقصى شمال قطاع غزة والقرية البدوية (أقصى الشمال) وأحياء الكرامة والمخابرات والعامودي، الذين قصدوا مدارس الوكالة، فوجدوا أن أكثرها موضدة في وجوههم. وفي أفضل الحالات، فتح حراس المدارس الأبواب لأهالي، وأخبروهم بأن «الأونروا» ليست مسؤولة بأيّ شكل من الأشكال، عن تقديم الرعاية لهم.

على أن الدور الأكثر سلبيةً الذي مارسته أخيراً، هو مشاركتها في الحرب النفسية على سكّان مدينة غزة وشمالها، إذ إن خبر مطالبة جيش الاحتلال أهالي تلك المناطق بإخلائها والانتقال إلى ما بعد وادي غزة، أشاعه في بداية الأمر، بعض موظفي الوكالة الدوليين، والذين سرّبوا الخبر إلى وكالة «رويترز»، وعندما وجد نفياً مقابلاً من الجهات الأهلية والحكومية، تبنّى الاحتلال بنفسه تعميم رسالة الإخلاء. وبحسب مصدر من داخل «الأونروا» تحدّثت معه «الأخبار»، فإن جيش العدو حاول الحصول على النتيجة التي يريدها، أي إخلاء شمال غزة والمدينة، من خلال الحرب النفسية والشائعات، من دون أن يتحمّل التبعات القانونية لهذه الخطوة على الصعيد الدولي، فيما شاركت الوكالة بدور فاعل في إشاعة جوّ نفسي سيّئ. ويضيف المصدر أنه «لَمّا وجد خبر رويترز وتسريبات الوكالة رواية مقابلة، واختار الأهالي فعلاً البقاء في تلك المناطق إلى جنوب القطاع، وأخلوا مسؤوليتهم تجاه النازحين والملاجئين. وأضاف معروف، في تصريح صحافي، أن «سلوك الوكالة لم يقتصر على انسحاب الموظفين، وترك مراكز الإيواء للمجهول، إنما أيضاً لم يتحمّلوا مسؤولية النازحين إلى الجنوب، حيث لم تقدّم الوكالة لهم أيّ خدمات، ولا مراكز إيواء للإقامة بها (...) نستنكر احتجازها للمساعدات التي كان من المفترض أن يتمّ توزيعها على النازحين إلى مراكز الإيواء، حيث لا تزال تحتفظ بها في مخازنها».

في مراكز الإيواء، التي تضجّ بأكثر من 300 ألف نازح، يبدو الأمر مأساوياً للغاية

في غزة، سلوك «الأونروا»، واعتبر أنها سارعت إلى التنصّل من واجباتها تجاه أهالي مناطق مدينة غزة وشمالها، حيث غادر موظفوها مساكنهم، تولّى جيش الاحتلال المهمة بنفسه».

من جهته، دان سلامة معروف، وهو مسؤول المكتب الإعلامي الحكومي في مراكز الإيواء، التي تضجّ بأكثر من 300 ألف نازح، يبدو الأمر مأساوياً للغاية. في زيارتها لمدرسة الفاخورة، رصدت «الأخبار» تكدّس أكثر من 30 شخصاً في حجرة صفّية لا تتجاوز مساحتها الـ40 متراً، حيث يفترش الأهالي أرض الفصل، وسط تردّي المستوى الصحّي، وعدم توفّر أيّ مقوّمات حياة. يقول أبو محمود، وهو أحد النازحين من مدينة بيت حانون: «خرجنا من المنزل من دون أيّ مستلزمات، بتنا على البلاط من دون أغطية لثلاثة أيام، قبل أن يقدّم لنا أهل الخير بعض الأغطية. لم تقدّم لنا الوكالة أي رعاية. الأمراض الجلدية بسبب قلة النظافة تتفشّى بين الأطفال. لا أحد مكترث لأمرنا». أمّا محمد المصري، وهو الآخر نازح من بيت حانون، فقد حمل برفقة شقيقه، والديه المسنَّين إلى مدرسة مشروع بيت لاهيا، من دون أن يتمكّن من جلب أدويتهم وجهاز التنفس الخاص بوالدته. يقول في حديثه إلى «الأخبار»: «والدتي مسنّة، ومريضة بتهتّك حادّ في الرئتين، ولا تتنفّس إلا على الأوكسيجين، لم نتمكّن من حمل الأنابيب معنا، ولم نجد مستشفى يستقبلنا، وها نحن ننتظر أن تموت على مرأى من عيوننا».

طوفان الأقصى

خطّة «الترانسفير» متعثّرة
الغزيون متمسّكون بالبقاء: لن نُكرّر «النكبة»

رام الله - **أحمد العبد**

لم يَعُد هناك مكان آمن في قطاع غزة، يمكن أن يلجأ إليه الأهالي بعيداً من العدوان الإسرائيلي؛ فالواضح، بعد مرور تسعة أيام، أن الهدف الذي تعمل آلة الحرب الإسرائيلية على تنفيذه في القطاع، هو قتل أكبر عدد ممكن من المواطنين. ومع دعوة العديد من المتحدّثين والمسؤولين العسكريين الإسرائيليين، أهالي شمال غزة، إلى التوجه جنوباً، عَبْر الألاف بالفعل وسط كثافة الغارات ووحشيّتها، من دون أن توفّر أيّ حماية لهم، بل إن العديد من القوافل التي تقلّهم، تعرّضت لقصف مركّز

> تبدي مصر، إلى الآن، موقفاً صارماً برفضها التامّ فكرة تهجير أهالي قطاع غزة إلى شمال سيناء

ومتعمّد ومباشر، خلّف مجازر في صفوفهم. وتبدو خطّة تهجير الأهالي ورقة ضغط قويّة تريد إسرائيل استخدامها في عدوانها، في ظلّ فشلها في تحقيق أيّ إنجاز عسكري إلى الآن، ولا سيما أن جوهر الخطّة هو تهجير الأهالي إلى خارج القطاع، وتحديداً إلى صحراء سيناء. وتابع العالم على شاشات التلفزة، قصْف الاحتلال قوافل المدنيّين في شارع صلاح الدين، وهم في طريقهم من شمال غزة إلى جنوبها، ليقضي من بينهم أكثر من 70 شهيداً، و150 جريحاً في لحظة واحدة، بعدما حذّرهم العدو وهدّدهم بالقتل في حال لم ينزحوا، ثمّ ليقتلهم أثناء عملية النزوح. وبحسب المعلومات المتوفّرة من «مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية» التابع للأمم المتحدة، فإن أكثر من 400 ألف فلسطيني نزحوا داخليّاً منذ بدء العدوان، من أصل قرابة مليون و200 ألف مواطن تدفع إسرائيل إلى تهجيرهم، فيما أعربت مئات المؤسّسات الدولية، من مثل «الصحة العالمية» والأمم المتحدة التي قالت إن الأمر «بالغ الخطورة وغير ممكن»، عن رفضها طلب إسرائيل ترحيل أولئك عبر منطقة حرب مكتظة ومحاصرة، إلى مكان لا طعام فيه ولا مياه أو سكن. ومع ذلك، لجأ المواطنون الذين نزحوا، إلى افتراش الأرض في شوارع خانيونس ورفح وأمام المباني والشوارع، بعدما امتلأت مدارس «الأونروا» بالنازحين، في حين تجمّع الآلاف في مستشفى «ناصر» في خانيونس، بحثاً عن مكان للمبيت أو الطعام أو الشراب، بحسب ما أفادت به وكالة «فرانس برس».

في مقابل من نزحوا، يتمسّك مئات الآلاف من المواطنين بمنازلهم والبقاء في أحيائهم (أ ف ب)

وفي مقابل مَن نزحوا، يتمسّك بالنازحين، في حين تجمّع الآلاف في مستشفى «ناصر» في خانيونس، بحثاً عن مكان للمبيت أو الطعام أو الشراب، بحسب ما أفادت به وكالة «فرانس برس».

وفي مقابل مَن نزحوا، يتمسّك مئات الآلاف من المواطنين بمنازلهم والبقاء في أحيائهم، ويفضّلون الموت على الرحيل، وخاصّة أنه لا يوجد مكان يذهبون إليه، في حين تُطلق المساجد نداءات تدعو الغزيّين إلى التمسّك ببيوتهم والتشبّث بأرضهم، وخصوصاً بعدما تعرّضت الطرق الآمنة التي أعلن عنها جيش الاحتلال، لقصف متعمّد، وباتت بمثابة فخاخ موت جماعي. ويركّز جيش العدو عملياته على منطقة شمال غزة، وقد صبّ، طوال الأيام التسعة الماضية، الآف الأطنان من المتفجّرات فوقها، ماسحاً عشرات الأحياء بكاملها. وبالتالي، فإن دعوته الأهالي إلى النزوح من الشمال إلى الجنوب، قد يكون هدفها المرحلي التمهيد لاجتياح برّي واسع لتلك المنطقة، يحشد العدو مئات الآلاف من جنوده لتنفيذه. وفي حال تَحقّق هذا السيناريو، فإن شمال غزة لن يكون صالحاً للعيش قبل إعادة بنائه من جديد، ما سيمنع الأهالي من العودة إلى منازلهم التي تحوّلت إلى ركام، وسيخلق واقعاً صعباً عليهم، في ظلّ انعدام المستلزمات الأساسية للحياة، كالغذاء والمياه والوقود.

لكن الهدف الاستراتيجي الذي تطمح إليه إسرائيل، هو خلْق ما يشبه نكبة جديدة، أو تنفيذ تطهير عرقي، عبر تهجير مئات الآلاف إلى سيناء، وهي ترى أن ذلك يمكن أن يتحقّق إذا ما زادت صعوبة حياة أولئك النازحين وتمّ حرمانهم من المساعدات، ما قد يدفعهم للتوجّه إلى مصر في حال أن تستقبلهم هناك في مدن يتوفّر فيها الغذاء والمياه، إذ إن هناك مساحة لذلك»، مضيفاً: «يستطيعون أن يعيشوا في مناطق مفتوحة، وسنقوم نحن والمجتمع الدولي بإعداد البنية التحتية وبناء 10 مدن من الخيام وإمدادهم بالطعام والمياه. هناك طريقة لاستقبالهم في الجانب الآخر (صحراء سيناء)، ونحن لا نقول لهم اذهبوا إلى الشواطئ وأغرقوا أنفسكم، إنّما نريد فتح ممرّ إنساني حتى يتمكّنوا من المغادرة، وعلى مصر أن تلعب دوراً فعّالاً في ذلك».

من جهتها، تدعم الولايات المتحدة خطّة الإخلاء الإسرائيلية، ضمن الضوء الأخضر الممنوح لحكومة بنيامين نتنياهو، والشيك المفتوح بالدعم والمساعدات، على الرغم من إجماع الموقف الدولي على رفض الخطّة الإسرائيلية التي تُعدّ انتهاكاً لحقوق الإنسان والقوانين الدولية، وتترتّب عليها مخاطر عالية لجهة احتمال استشهاد الآف المواطنين، وخاصّة أنها تشمل إخلاء المستشفيات. ويدرك الفلسطينيون، بدورهم، أبعاد المخطّط الإسرائيلي، وهم الذين جرّبوا النكبة والتهجير قبل 75 عاماً، ومنذ ذلك الوقت، وهم يقاتلون من أجل العودة. ومن هنا، جاء الموقف الصارم برفض التهجير، والذي عبّر عنه رئيس المكتب السياسي لحركة «حماس»، إسماعيل هنية، قائلاً إن «أهل غزة متجذّرون في أرضهم ومتمسّكون بوطنهم ولن يخرجوا منه»، مضيفاً: «لا هجرة من الضفة ولا من غزة، وأقول لا هجرة من غزة إلى مصر، وأحيّي الأشقاء في مصر، وأقول لهم إن قرارنا أن نبقى في أرضنا، وإن قراركم هو قرارنا». وهو الموقف الذي تبنّته السلطة الفلسطينية أيضاً على لسان رئيس الحكومة، محمد اشتية، الذي قال إن «اللجوء الذي حصل عام 1948 لن يتكرّر (...) شعبنا لن يغادر أرضه، ومنذ عام 1950 وإسرائيل تحاول توطين اللاجئين في الدول العربية، واليوم تحاول توزيع سكان قطاع غزة على دول العالم».

وتبدي مصر، إلى الآن، موقفاً صارماً برفضها التامّ فكرة تهجير أهالي غزة إلى شمال سيناء، حتى ولو بشكل مؤقّت، وخصوصاً أن ذلك سيخلق بالنسبة إليها تحدّيات كبيرة، تُضاف إلى ما تواجهه أصلاً. وعلى هذه الخلفية، أفادت مصادر عبرية بأن العلاقات بين إسرائيل ومصر وصلت إلى نقطة حرجة، إذ قال التلفزيون العبري إن «الحرب الحالية تضع مصر أمام ثلاثة تحديات، على الأقلّ لم تواجه بعضها من قبل: أولها، الخشية من أن الآلاف وربّما المزيد من الفلسطينيين (من أصل 2,2 مليون نسمة) سيرغبون في الفرار من القطاع في اتّجاه سيناء عبر معبر رفح، في ظلّ ازدياد الأفكار المتداولة في بعض الدول الغربية في شأن توطين اللاجئين الفلسطينيين في سيناء. والثاني، المسّ بمكانة مصر ودورها في القضيّة الفلسطينية مع تدخّل دول أخرى مثل قطر وتركيا؛ والثالث، حاجة القيادة المصرية إلى تهدئة الرأي العام الذي يدعم الفلسطينيين».

حملات الاعتقال لا تسكّن الضفة
الأسرى في عين الانتقام

رام الله - **أحمد العبد**

تستغلّ سلطات الاحتلال العدوان على قطاع غزة، لاستفراد بالأسرى الفلسطينيين والتنكيل بهم، وحرمانهم من الحقوق التي انتزعوها عبر نضالات طويلة. في هذا الإطار، أبلغت إدارة سجون العدوّ بعض السجون نيّتها الاستيلاء على الملابس والأغطية والمتلكات كافة التي تبقّت في حوزة المعتقلين، على أن يحتفظ كلّ منهم بـ«غيارين» فقط. ويبدو أن وزير «الأمن القومي» المتطرّف، إيتمار بن غفير، المسؤول عن السجون، وجد فرصته للانقضاض على الأسرى، بالتعاون مع إدارة السجون، بما يشمل تفاصيل حياتهم اليومية كافة، وسط تحذير المؤسّسات المعنية من تحويل هذه الأخيرة إلى جحيم حقيقي.

وطالبت «هيئة شؤون الأسرى»، «اللجنة الدولية للصليب الأحمر»، بالتحرّك الفوري لزيارة السجون، وتكثيف طواقمها العاملة، «لوضع حدّ لهذا الجنون المخالف لكل الموائيق والأعراف، ومبادئ القانون الدولي الإنساني والاتفاقات الدولية». وقالت الهيئة إن «إدارة سجون الاحتلال فرضت أخيراً جملةً من الإجراءات في حقّ المعتقلين، وهي: إغلاق الأقسام في كلّ السجون؛ سحب محطّات التلفاز المتاحة للمعتقلين؛ زيادة أجهزة التشويش، إيقاف زيارات عائلات المعتقلين؛ إبلاغ المحامين بإلغاء الزيارات التي كانت مقرّرة هذا الأسبوع؛ تعمُّد قطع الكهرباء والمياه عن أقسام المعتقلين بين الحين والآخر؛ سحب المواد الغذائية من الأقسام؛ حرمان المعتقلين من الخروج إلى ساحة السجن (الفورة)؛ حرمان المرضى منهم من نقلهم إلى العيادات؛ عمليات اقتحام نفّذتها قوات القمع المدجّجة بالسلاح، في سجون من بينها (الدامون) الذي تحتجز فيه معظم المعتقلات، و(النقب، وعوفر، ومجدو)؛ توثيق عمليات عزْل لعدد من المعتقلين من خلال نقلهم إلى الزنازين، من بينهم ممثلة المعتقلات، مرح باكير؛ عمليات نقل جماعية طالت معتقلي غزة في سجن (النقب)، حيث جرى نقلهم إلى سجن (نفحة)، إلى جانب عملية نقل تمّت داخل السجن الواحد، كما جرى في حقّ المعتقلين القابعين في قسم الخيام في سجن (النقب)، حيث جرى نقلهم وتوزيعهم على بقية الأقسام؛ زيادة مدّة توقيف المعتقلين من 96 ساعة، إلى 8 أيام، ومنع لقاء المحامين في الأيام الأربعة الأولى من الاعتقال».

> ارتقى، منذ بدء العدوان على غزة، 56 شهيداً في الضفة الغربية

وكان وزير الأمن الإسرائيلي، يؤاف غالانت، في ضوء عمليّة «طوفان الأقصى»، قد أصدر قراراً، في 8 تشرين الأول 2023، اعتبر فيه المعتقلين الفلسطينيين من قطاع غزة كمقاتلين غير شرعيين بناءً على «قانون المقاتل غير الشرعي» الصادر عام 2002. وينصّ الأمر 3 (أ - ب) على احتجاز المعتقلين من القطاع في معسكر «سديت يمان» التابع للجيش بالقرب من بئر السبع، على أن يسري هذا الأمر لمدّة 10 أسابيع من تاريخه. وتُخالف هذه الخطوة القانون الدولي الإنساني الذي ينصّ على أن المقاتلين المعتقلين هم أسرى حرب.

في هذا الوقت، واصلت قوات الاحتلال في الضفة الغربية المحتلّة، حملات الاعتقال الواسعة، والتي تُعدّ الأعلى منذ سنوات، حيث اعتُقلت، فجر الأحد، 65 فلسطينياً، من بينهم قيادات من حركة «حماس». ووصل عدد حالات الاعتقال، منذ السابع من تشرين الأول الجاري، إلى نحو 470، شملت الفتات كافة، إلى جانب المعتقلين من العمال وغزة، والذين لم تُعرف أعدادهم بشكل دقيق حتى اليوم، فيما تركّزت العمليّات في محافظة الخليل التي سُجّلت فيها أعلى نسبة. كذلك، وثّقت عنيفة بين الشبان وقوات الاحتلال، أمس، اشتبكت المقاومة مع قوات الاحتلال في عدّة مناطق في شمال الضفة، من بينها بلدة قطنة شمال غرب القدس المحتلّة، ومخيم الأمعري جنوب رام الله، وبلدة يعبد جنوب غرب جنين. كما أصيب ثلاثة شبان خلال اشتباك مسلح في مدينة طوباس إلى الشمال الشرقي من الضفة، أحدهم حالته خطيرة. ونفّذت مجموعات المقاومة في الضفة 246 عمليّة إطلاق نار تجاه أهداف الاحتلال والمستوطنات، منذ بداية معركة «طوفان الأقصى». وقال «مركز معلومات فلسطين» (معطى) إن جنين تصدّرت قائمة عمليّات إطلاق النار بـ 67 عملية، ثم نابلس بـ 43، وطولكرم بـ 30. كما نفّذت المقاومة 26 عمليّة إطلاق نار في الخليل، و22 في مناطق القدس المحتلة، و18 في رام الله، و14 في أريحا، و8 في قلقيلية، و5 في طوباس، و3 في سلفيت. وارتقى، منذ بدء العدوان على غزة، 56 شهيداً في الضفة، آخرهم من بلدة بيتا قرب نابلس ظهر الأحد، خلال التصدّي لاقتحام المستوطنين جبل العرمة في البلدة، بينما استمرت التظاهرات الجماهيرية في مختلف قرى الضفة وبلداتها ومدنها، ليلاً ونهاراً، حيث يتّجه الكثير منها إلى نقاط التماس والحواجز العسكرية. وعلى الصعيد السياسي، لا تزال السلطة الفلسطينية تحافظ على قدر كبير من الصمت إزاء العدوان على غزة، متنكّرة في الوقت نفسه لتصريحات عضو اللجنة المركزية لحركة «فتح»، عباس زكي، لقناة «الميادين»، والتي مدح فيها المقاومة في غزة، وتحديداً «كتائب القسام» و«سرايا القدس»، إذ قال مصدر مسؤول، لوكالة «وفا»، إن التصريحات التي أدلى بها زكي «لا تمثّل إلّا نفسه، ولا تعبّر عن موقف حركة «فتح» أو سياسة منظّمة التحرير الفلسطينية». وفي ظل الضوء الأخضر الأميركي لإسرائيل لارتكاب مجازر حرب، وتزويدها بكلّ أنواع الذخائر والقنابل التي تقصف بها غزة، وهرولة جميع المسؤولين الأميركيين لزيارة دولة الاحتلال وتقديم الدعم والإسناد لها، أجرى عباس اتصالاً هاتفيّاً بالرئيس الأميركي، جو بايدن، شكره فيه على جهود إدارته في السعي من أجل تحقيق الأمن والاستقرار والسلام في المنطقة، مبدياً استعداد الجانب الفلسطيني للانخراط في «تحقيق السلام العادل والشامل في منطقتنا في أسرع وقت ممكن»، مؤكداً أن «الأمن والسلام يتحقّقان من خلال إعطاء الشعب الفلسطيني حقوقه المشروعة كاملة». كما شدّد على «ضرورة الذهاب إلى الحلّ السياسي، وتنفيذ حلّ الدولتين المبني على الشرعية الدولية والحرية والاستقلال لشعبنا في دولته المستقلّة على حدود عام 1967».

لا تزال السلطة الفلسطينية تحافظ على قدر كبير من الصمت إزاء العدوان على غزة (أ ف ب)

مقالة

استفراد غزّة المستحيل

نجيب نصرالله

ساعة بعد ساعة، ودقيقة بعد أخرى، تتعمّق الورطة الإسرائيلية الوجودية. فبالتوازي مع بدء انكشاف الأكاذيب التي روّجتها الماكينة الإعلامية الغربية الجبّارة، وافتضاح أشكال التزوير وغيرها من صنوف الإرهاب الإعلامي والسياسي والثقافي الغربي المرافق، تتواصل فصول الوحشية الإسرائيلية باستهداف إبادي لا سابق له لمدنيّي غزة من أطفال ونساء وشيوخ ولكل مرافق الحياة فيها. وعليه فإن رخصة الإرهاب الأميركي لإسرائيل هي هي ولا جديد. الجديد هو في إضافة الإبادة الكاملة والشاملة على الرخصة المعطاة سابقاً والمفتوحة زمانياً ومكانياً.

ومن جديد مهدّد بأن يصبح قديماً جرّاء التسارع في الأحداث وأرجحية (لا شك فيها!) شمولها باقي الجبهات المتأهّبة، تتأكد الحقيقة التي لا حقيقة غيرها، وهي أن الإرهاب هوية وممارسة وتقاليد، إنما هو صناعة بحت أميركية، ولا يملك أحد في العالم حقّ استعارته ولا محاولة تقليده. بل إن كل محاولات التقليد، وآخرها مشهديات داعش وأخواتها، مُنيت بالفشل الذريع. وهي لا تعدو أن تكون عمل هواة إذا ما قيست بالإرهاب الأميركي المحترف الذي ربما لم يترك بقعة في العالم لم يُطاولُها.

ساعة بعد ساعة، ودقيقة بعد أخرى، تتعمّق ورطة إسرائيل ويتبدّى عجزها إلا عن الإرهاب العاري. فهذا الإرهاب الجاري تنفيذ فصوله الإبادية، مع ما يصاحبه من فظائع «قيامية»، لم يجد من يدينه من «متحضّري» الغرب المزعومين. بل إن هؤلاء لا يكفّون عن التشدّق الفارغ بالحريات والديمقراطية وغيرها من العبارات التي لا تعني شيئاً، وإن عنت فلا أقل من عكسها. ومع ذلك، وبالرغم من كل هذا الصمت الذي لم تخرقه غير أصوات أصحاب الضمائر والأخلاق في أميركا اللاتينية وروسيا والصين فضلاً عن حلفاء المقاومة، لم يتجرّأ أحد على معاكسة الإملاءات الأميركية، التي قضت بالانتظام الحديدي والفوري في طابور الحرب التي تتجاوز غزة لتشمل كامل جغرافيا المنطقة العربية وربما أبعد. ومع ذلك، وهنا تكمن الأهمية التي لا توازيها أهمية، فإن غزة، وبالرغم من كل جراحها النازفة، وشراييها المفتوحة، تقاتل وتقاوم.

الاستفراد بغزة هو العنوان السياسي والعسكري الوحيد الذي يشغل بال إدارة الحرب الأميركية ويقضّ مضاجع قادتها، وهو الهدف الذي تسعى جاهدة لتحقيقه. فهي، وانطلاقاً من مسؤوليتها عن إطلاق الحرب التي أعلنها جو بايدن وأيّده فيها التابعون الأوروبيون وبعض المستعربين، فإنها مهتمّة بتأمين شروط النجاح الإسرائيلي. ومع أن الشروط المتوهّمة هذه مشكوك فيها، إسرائيلياً وحتى أميركياً، بدليل وقائع البطولات الغزاوية اليومية، فإن الخشية من المفاجآت التي يمكن لغزة أن تصفع بها العالم تفرض على الأميركيين محاولة حصر النار في غزة، ومنع امتدادها إلى سائر الجغرافيا المحيطة بها. وهي إذ تفعل ذلك فليقينها من احتمالات هزيمة محقّقة، خصوصاً في حال أقدمت المقاومة اللبنانية على تنفيذ التزامها السياسي وعدها الأخلاقي تجاه فلسطين وأهل غزة. وهي الخشية التي تفرض على أنطوني بلينكن العودة إلى تل أبيب، والتي يستدل عليها من التورط الأميركي السافر في إعلان الحرب والجهد المبذول لتوفير مستلزماتها اللوجستية والاستخبارية و... وتكرار بايدن وفريقه «دعوة» المقاومة اللبنانية وبالاسم إلى الامتناع عن نصرة غزة.

يبقى أن يقال لـ«الخصوم» الذين يتهكّمون على و«حدة الساحات»، ويسألون عنها ببلاهة معيبة أنها جارية العمل. ولعل ما يمنعهم من رؤيتها وتلمّس نتائجها، يكمن، حصراً، في قصر نظرهم السياسي والوطني والأخلاقي... فوحدة الساحات هذه بادية إلى درجة تكاد أن تفقأ العين. ولعلّ واحدة من جُملها التي يمكن الإشارة إليها هي هذه التحركات الأميركية المحمومة وحشد الأساطيل وممارسة الإرهاب السياسي المباشر وغير المباشر على المتردّدين، وكذلك تتجلّى في ازدحام تل أبيب وعواصم المنطقة بالأميركيين ورسلهم.

سنكون ولا شك أمام «شرق أوسط» جديد، إنما من نوع مختلف عن ذاك الذي بشّرتنا به كوندوليزا رايس، أو ذاك الذي يبشّرنا به أهل التطبيع وقوّادوه من العرب. وسيكون ومن دون أدنى شك على صورة ومثال الملحمة الجارية التي يصنعها أبطال غزة ومقاوموها، وبحجم التضحيات التي يبذلونها. وإنّ غداً عربياً جديداً لا مكان فيه للأوغاد لناظره قريب.

طوفان الأقصى

حفلة الأكاذيب (لا) تحجب الحقائق: «حُبّ إسرائيل» تَغيّر... والعالم أيضاً

حسين إبراهيم

ثمّة سخط عارم في إسرائيل على مُلّاك وسائل التواصل الاجتماعي، وجلّهم من اليهود، بعدما بدا أنها خرجت عن سيطرة هؤلاء، وصارت مساحات لصبّ الغضب على دولة الاحتلال والتعبير عن تأييد المقاومة الفلسطينية. هذه الوسائل التي لا يمكن التحكّم بمضمونها إلا قليلاً، حتى في ظلّ سياسات إداراتها التي تقضي بتصنيف وحجب وحظر المضمون المناهض لإسرائيل، تشهد حالياً على حدوث انقلاب كبير في الرأي العام العالمي لمصلحة القضيّة الفلسطينية، وهو ما يؤدي إلى ترويج الأكاذيب التي يرتكز إليها الاحتلال في تبرير وجود دولته، تعني خسارة الحرب؛ فذلك يعزّيه ويجعله، هو وداعميه من الحكومات الغربية، بلا «غطاء أخلاقي». ولذا، فهو يقف مذهولاً أمام حجم الصدّ الذي يتعرّض له، وأمام نوعية الأشخاص الذين غادروا موقع التأييد له. ليس جديداً أن تخرج أصوات في «هوليوود» مناهضة لإسرائيل؛ إذ ثمّة كثر من مثل مايكل مور وميل غيبسون، لم تنطلِ عليهم الأكاذيب من الأساس، لكن أن تصل الأمور إلى أن يخاف مؤيّدو دولة الاحتلال في «بيفرلي هيلز»، من موجات الغضب التي يواجههم بها أنصار فلسطين على وسائل التواصل الاجتماعي، ويعدّلون مواقفهم على هذا الأساس، لتتضمّن للمرّة الأولى «تعاطفاً» مع ضحايا فلسطين، فلا شكّ في أن انقلابهم سيُشعر الإسرائيليين بقشعريرة، من بين هؤلاء، الممثلة وعارضة الأزياء الإسرائيلية، غال غادوت، والممثلة سارة بولسون، وكايلي جينير، وهي شخصية إعلامية أميركية، والمغني جاستن بيبر، والممثل والمنتج دواين جونسون، وكلّ هؤلاء إمّا رفضوا تأييد أيّ من الطرفين ضدّ الآخر، وإمّا اضطروا إلى حذف منشورات مؤيّدة للعدو، خوفاً من موجات سخط تستهدفهم على تلك الوسائل.

> توازُن الأكاذيب
> تغيير آراء فئات واسعة من الناس، لم تكن مطلعة بما يكفي على حقيقة ما يجري، ونجوم عالميين، وحتى دول، ممن كانوا يسرّون التأييد للعدو، أو الرهان على كسبه المعركة الدائرة رحاها في ميادين القتال أو في ساحات السياسة العالمية.

ومن الطبيعي، في هذه الحال، أن يكون إيلون ماسك، اليهودي، الذي اجتمع ذات يوم برئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، هو «المذنب»، على رغم أن شركته قامت بحذف أو تصنيف عشرات الآلاف من المنشورات ذات المحتوى المؤيد لعملية «طوفان الأقصى». صار الرجل، في نظر صحيفة «يديعوت أحرونوت»، «أخطر معادٍ للسامية في العالم»، لا فقط لأن منصّته تفيض بالمواد التي تندرج في هذا الإطار، بل لأنه هو نفسه «طرح عدّة ادّعاءات ضدّ اليهود». تلك الحقائق تصعّب المهمّة على الدول الغربية الداعمة لإسرائيل، والتي وجدت رأيها العام يفلت من بين أيديها، فاضطرّت للتكشير عن أنيابها، وممارسة ضغوط لم يعتد عليها مواطنوها. من الأمثلة على ما تقدّم، رفض محطة «بي بي سي»، وصف حركة «حماس» بالإرهابية، على رغم ضغوط وزير الدفاع البريطاني، غرانت شابس، وتبريرها ذلك بأنه ليس من مهمّاتها القول للناس من يجب أن يؤيّدوا أو يُدينوا. هكذا، سقطت فوراً محاولات العدو تصوير ما جرى على أنه «11 أيلول الإسرائيلي»، ومعها الاستماتة في تشبيه المقاومة الفلسطينية بتنظيم «داعش»، بعد فشل سردية قطع الرؤوس واغتصاب النساء، والتي صدّقها الرئيس الأميركي، جو بايدن، في حديثه عبر الهاتف مع نتنياهو، ثم كذّبها فور نهاية المكالمة.

ولعلّ هذا الانقلاب يصبح أكثر خطورة، عندما تتوفّر قوى في العالم، مستعدّة لاغتنام فرصة توازُن الولايات المتحدة في الصراع، لتصفية حسابات طويلة معها. وأول هؤلاء الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين. إذ على الرغم من أن حساب بوتين هو مع الولايات المتحدة لا إسرائيل، فإن ذلك لا يغيّر بالنسبة إلى العدو حقيقة أن الرجل صار في الموقع المعادي. فلا هو اتصل بنتنياهو لتعزيته بقتلى إسرائيل ولا هو دان عملية «حماس». لا بل إنه فعل العكس بالضبط، بتحميل واشنطن مسؤولية ما يجري لفشلها في حلّ الصراع، عبر انحيازها المطلق إلى تل أبيب. والحال نفسه ينسحب على الصين، التي رفضت هي الأخرى إدانة عملية «حماس»، فيما تنتظر أن يرسو غبار الحرب على هزيمة منكرة للولايات المتحدة والتحالف الذي تقوده، بمعزل عن علاقة بكين بتل أبيب نفسها. فبالنسبة إلى الصين، هذه هي السياسة البعيدة المدى لاحتواء الأحداث بدل الانخراط الساخن فيها. هكذا حصل سابقاً في سوريا، وهكذا يحصل حالياً في أوكرانيا.

قوى في العالم، مستعدّة لاغتنام فرصة توازُن الولايات المتحدة في الصراع، لتصفية حسابات طويلة معها (أ ف ب)

وهذه هي المرّة الأولى التي تخوض فيها المقاومة، والعرب عموماً، حرباً رئيسة ضدّ إسرائيل، في ظلّ التوازنات الدولية الجديدة التي ظهّرتها حرب أوكرانيا، والتي صارت تتيح إمكانية الانخراط في حرب تحرير ناجحة عسكرياً، وقابلة للتسويق دولياً. وهذا يحصل أمام عين الشعوب العربية التوّاقة إلى امتلاك هكذا خيار، وأمام أعين الإسرائيليين أيضاً. أضف إلى ما تقدّم، تراجع قدرة الولايات المتحدة على حماية البنى التي أقامتها في المنطقة خلال عشرات السنين، بما فيها الأنظمة الحاكمة. وهي الحرب الأولى أيضاً التي قد يعني تورّط الولايات المتحدة عسكرياً فيها، هزيمة جديدة لها في جبهة أخرى من جبهات الصراع العالمي التي تتزايد في وجهها وتنال منها.

صورة أخرى من صور خسارة الحرب السياسية، قبل أن تبدأ جنازير الدبابات في الدوران نحو غزة لخوض الحرب البرّية، كان الانقلاب في موقف ولي العهد السعودي، محمد بن سلمان، الذي يتصرّف كما لو أنه نجا من فخّ التطبيع الذي نصبته له إسرائيل وأميركا. صار الآن مضطراً لتقديم صورة مختلفة لنفسه، بوصفه متمسّكاً بالحق الفلسطيني، بعد أن كان على وشك التفريط به. وأعاد حساباته كلياً، فأوعز إلى معاونيه بتسريب خبر وقف محادثات التطبيع، والقول إنها حتى لو استؤنفت في وقت ما، فإن حقوق الفلسطينيين ستكون على رأس أولويات المملكة فيها. كما أرفق كلّ ذلك بتلقّي اتصال مطوّل من الرئيس الإيراني، إبراهيم رئيسي، أوحى بنيّة الأول المضيّ في خيار التوافق مع إيران بموجب «اتفاق بكين». ويبدو أن ابن سلمان، الذي يعرف جيداً حجم معارضة مواطنيه للتطبيع، يخشى من مصير مشابه لمصير سلسلة مطاعم «ماكدونالدز» في السعودية، والتي أصدرت ما يشبه الاستعانة بفعل المقاطعة، بعدما رأى السعوديون فروع الشركة في إسرائيل توزّع وجبات مجانية على جنود الاحتلال على الجبهة.

الحرب هذه لم تكن اختيارية بالنسبة إلى دولة الاحتلال. هي بداية حرب تحرير، تختلف عن كلّ الحروب السابقة، بما فيها حرب تشرين التي استطاعت إسرائيل استعادة زمام المبادرة فيها بفضل الدعم الغربي، بعد أن ذاقت طعم الهزيمة في بدايتها. وهي تثبّت حقيقة أن ثمّة في المقاومة، مَن هو متفوّق على الجيش الإسرائيلي، ولو ليس بعد بالقوة النارية. سيكون من الصعب على إسرائيل، والحال كذلك، استعادة المبادرة.

الوحشية الإسرائيلية تحرج «العالم المتحضّر»
حان وقت الانضباط

ليست مشاهد الحرب المتواصلة على غزة، منذ 10 أيام، إلا تجلية لمذبحة جديدة تمارسها إسرائيل على مرأى العالم، وتأمل أن يكون وقعها مشابهاً لنكبة 1948 التي طُرد في خلالها أكثر من 750 ألف فلسطيني حين أنشئت «دولة» الاحتلال، أو نكسة 1967 التي أدّت إلى احتلال إسرائيل للضفة الغربية وقطاع غزة وتهجير 350 ألف فلسطيني. وإذ لا ينكر قادة العدو، اليوم، هدفهم المتمثّل اليوم في «محو غزة»، بعدما تحوّلت إلى عقبة كبرى في وجه المخطّطات الإسرائيلية، ومصدر تهديد لأمن الكيان، فإنهم يتطلّعون إلى تهجير ما لا يقلّ عن مليون فلسطيني في شمال القطاع، وسط استمرار الغارات الجوية التي قتلت أكثر من 2500 مدني.

هذا المشهد الذي يراه العالم عارياً، لهو كفيل بفضح ذلك الاحتلال الذي يقدّم نفسه على أنه «واحة الشرق الأوسط الديموقراطية»، وضحية لـ«الإرهاب». لكنّ ازدواجية المعايير لدى الغرب، الذي جنّد كل طاقاته العسكرية والسياسية والإعلامية في سبيل دعم هذه الحرب، تستمرّ في تصدير إسرائيل بوصفها كياناً فوق القانون، وتمنحها الحقّ في أن تقتل بدم بارد، من دون الخضوع لأي مساءلة أو محاكمة أو حتى ضبط. بل وحتى أن تعرقل جهود الجهات الصحية والإغاثية وطواقم الإسعاف، وتستخدم الأسلحة المحرّمة دولياً ضدّ الغزّل، في ما يمثّل بوضوح جريمة إبادة جماعية. جريمة تُضاعف من وقعها أيضاً الصعوبة البالغة في إخلاء الجرحى وانتشالهم من تحت الأنقاض، بفعل الحصار الإسرائيلي المطبق على غزة، ومنع إدخال الإغاثة عبر معبر رفح، وقطع إمدادات الوقود والكهرباء عن القطاع.

وإذ تتوالى المواقف الإقليمية والدولية الرافضة لهذه الجريمة، بدءاً من الدول العربية، مروراً بإيران التي حذّرت على لسان وزير خارجيتها، حسين أمير عبد اللهيان، من أنه «لا أحد يمكنه ضمان السيطرة على الوضع»، في حال «تواصلت هجمات النظام الصهيوني على السكان العُزّل في غزة»، وروسيا التي دعت إلى «وقف إطلاق النار»، وصولاً إلى الصين التي يصل مبعوث حكومتها إلى الشرق الأوسط، تشاي جون، إلى المنطقة الأسبوع المقبل للدفع في اتجاه وقف لإطلاق النار، فإن الوكالات الدولية، ومن بينها وكالات الإغاثة وتلك التابعة للأمم المتحدة و«اللجنة الدولية للصليب الأحمر»، لم تستطع أمام هذا العقاب الجماعي، إلا بل وحتى أن تعرقل جهود الجهات أن ترفع عقيرتها، ولو بنبرات متفاوتة.

> مقرّرة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان في غزة: المسؤولون الإسرائيليون دعوا علانية إلى «نكبة أخرى»

وكانت الأمم المتّحدة قد أعلنت أن أكثر من 423 ألف شخص أُجبروا على الفرار من منازلهم في قطاع غزة، وأن «أكثر من 270 ألف شخص من هؤلاء، أي ثلثي النازحين، لجأوا إلى مدارس تديرها وكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا)». وقال مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية، بدوره، إن «5544 وحدة سكنية» دُمرت، فيما أصيبت حوالى 3750 وحدة أخرى بأضرار جسيمة إلى حدّ لم تعد معه قابلة للسكن. وأعلن «الصليب الأحمر»، من جهته، أن «الاتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر رُوّع جراء مشاهدة البؤس الإنساني خلال الأسبوع الماضي في إسرائيل وغزة (في ما يمثّل مساواة مضلّلة)»، فيما حثّ الأمين العام للأمم المتحدة، أنطونيو غوتيريش، إسرائيل على «تجنب وقوع كارثة إنسانية»، قائلاً إن «الوضع في غزة وصل إلى مستوى خطير»، مضيفاً أن «حتى الحروب لها قواعد».

هذا، فيما حثّ الاتحاد الأوروبي، جوزيب بوريل، السبت الماضي، أن دعوة إسرائيل إلى إجلاء أكثر من مليون فلسطيني من شمال غزة خلال يوم واحد أمر «مستحيل تماماً تنفيذه»، إلا أنه لم يُدن الأمر. وأضاف أن «الموقف واضح، إننا ندافع بالتأكيد عن حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها... لكن كأي حقّ آخر، هذا له حدود، وهذه الحدود هي القانون الدولي». وحثّت منظمة «أطباء بلا حدود»، من جهتها، إسرائيل على «التحلي بالحدّ الأدنى من الإنسانية»، مشيرة إلى أن إنذار الإخلاء الذي أصدرته في «منطقة مكتظّة بالسكان أصلاً، مع صعوبة شديدة في الحصول على الغذاء والماء والرعاية الصحية، هو أمر غير معقول وغير مقبول». وأضافت: «بينما الآن، قبل أن يتكرّر التاريخ المأساوي»، مشيرة إلى أن المسؤولين الحكوميين الإسرائيليين دعوا علانية إلى «نكبة أخرى». وأضافت أن إسرائيل «نفّذت بالفعل تطهيراً عرقياً جماعياً للفلسطينيين تحت ضباب الحرب». وتابعت أنه «يجب على الأمم المتحدة والدول الأعضاء فيها تكثيف الجهود للتوسط في وقف فوري لإطلاق النار» وذلك «قبل أن نصل إلى نقطة اللاعودة»، محمّلة «المجتمع الدولي مسؤولية منع الجرائم الفظيعة وحماية السكان منها»، ولو أنها ساوت بين الضحية والجلاد، بقولها إنه «يجب أيضاً متابعة المساءلة عن الجرائم الدولية التي ارتكبتها قوات الاحتلال الإسرائيلي وحماس».

أما أوروبياً، فاعتبر وزير خارجية الاتحاد الأوروبي، جوزيب بوريل، السبت الماضي، أن دعوة إسرائيل إلى إجلاء أكثر من مليون فلسطيني من شمال غزة خلال يوم واحد أمر «مستحيل تماماً تنفيذه»، إلا أنه لم يُدن الأمر. وأضاف أن «الموقف واضح، إننا ندافع بالتأكيد عن حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها... لكن كأي حقّ آخر، هذا له حدود، وهذه الحدود هي القانون الدولي». وحثّت منظمة «أطباء بلا حدود»، من جهتها، إسرائيل على «التحلي بالحدّ الأدنى من الإنسانية»، مشيرة إلى أن إنذار الإخلاء الذي أصدرته في «منطقة مكتظّة بالسكان أصلاً، مع صعوبة شديدة في الحصول على الغذاء والماء والرعاية الصحية، هو أمر غير معقول وغير مقبول». وأضافت: «بينما يقصف الجيش الإسرائيلي قطاع غزة دون ضبط للنفس منذ أسبوع، فإننا ندعوه إلى التحلي بالحد الأدنى من الإنسانية». وعبّرت المنظمة، التي تتخذ مقراً لها في جنيف، عن قلقها «بشأن مصير مَن لن يتمكنوا من التنقل، مثل الجرحى والمرضى والطواقم الطبية، الذين نخشى أن تتم إبادتهم»، داعية إلى وقف لإطلاق النار. وإذ طالبت بإتاحة إمكانية الفرار عبر معبر رفح لمن يرغب بذلك، فقد شدّدت على عدم «المساس بحق العودة».

وفي اليومين الماضيين، خرجت تظاهرات في عدة مدن غربية منددة بالعدوان الإسرائيلي، كان أبرزها في الولايات المتحدة وألمانيا، حيث اعتدت الشرطة على المتظاهرين. أما في العاصمة الإيرلندية دبلن، فخرجت تظاهرة حاشدة نصرةً للشعب الفلسطيني، طالب المشاركون فيها بوقف حرب الإبادة الجماعية، وحماية أهالي القطاع، وفتح الممرات الإنسانية للغذاء والماء والدواء وبشكل فوري وسريع. وتخلّلت التظاهرة، التي شاركت فيها الجاليات العربية ولجنة التضامن الإيرلندية ونقابات عمالية وأحزاب يسارية، كلمة لعضو البرلمان الإيرلندي، رئيس حزب «الناس قبل الربح»، طالب فيها العالم الحر بالضغط على إسرائيل لوقف العدوان على غزة، مندّداً بالرواية الإسرائيلية المخادعة، وانسياق وسائل الإعلام الغربي خلفها في محاولة لتبرير قتل الأبرياء من شعب فلسطين.

(الأخبار)

(أ ف ب)

مقالة

لماذا لن يُطيح «الطوفان» التطبيع السعودي؟

عباس بوصفوات

كلما زادت حدة الاشتباكات بين المقاومة الفلسطينية وكيان الاحتلال، يزداد السؤال المتعلق بمصير التطبيع السعودي حضوراً في المداولات السياسية.

أولاً: السردية السعودية

تروّج وسائل إعلام مُقربة من السعودية، مثل «بلومبرغ» التي تجمعها شراكة واسعة مع «المجموعة السعودية للأبحاث والإعلام»، المالكة لكبريات وسائل الإعلام السعودية المرئية والمقروءة، بأن عملية «طوفان الأقصى»، التي نفذتها حركة «حماس» وأدت إلى هزّ المنطقة، والقناعات السياسية فيها، و«التطبيع»، والأمن الصهيوني، وأميركا، والخليج، دفعة واحدة، هي نتاج تحريض إيرانيين وتخطيطهم، هدفهما إجهاض الجهود الأميركية للتقارب بين المملكة والكيان. ويتكئ الإعلام الغربي في ذلك على تصريحات طازجة مضادة للتطبيع صادرة عن المقاومين، لإنتاج سردية ملتبسة تحاول حرف الغاية الكبرى من هجوم السابع من تشرين الأول: تحرير فلسطين وأسراها وقدسها وأقصاها وعموم شعبها وأرضها.

ثانياً: النجدة الأميركية لإسرائيل

يعكس ما يرجو «محور المقاومة» من عودة البصيرة إلى الرياض، وأن يدفعها «الطوفان» إلى إعادة النظر في مسارها الرامي إلى توطيد علاقاتها مع كيان لا يستطيع الذود عن نفسه، فضلاً عن مساعدة الآخرين، فإن خطاب الرئيس الأميركي، جو بايدن، الفجّ وغير الدبلوماسي وغير العقلاني، بل الوقح والمليء بالأكاذيب، الداعم للعدوان الهمجي على غزة، يجعل السعوديين أكثر تمسكاً بالتطبيع! وذلك على أمل أن يجذب التقارب مع إسرائيل، أميركا لتقديم ضمانات أمنية أكثر إلزامية للخليج ودوله وأسره الحاكمة.

ثالثاً: الهواجس السعودية التقليدية تجاه المقاومين

من بين الأوجه التي قد لا تجعل «الطوفان» مُغرملاً للتطبيع، بالقدر الذي يأمله الخيّرون الناصحون، أن الهواجس السعودية من الحالة الفلسطينية قديمة ومتأصلة في بُعدها السلبي، فلا تثق الرياض بالناشطين من أبناء القدس ورام الله وغزة، وتصف تجربتها معهم بالمُرّة: إنهم «محامون فاشلون عن قضية عادلة»، كما قال بندر بن سلطان. ثم إن إستراتيجيات «حماس» و«حزب الله» و«الجهاد» تخدم إيران، كما يكتب عبد الرحمن الراشد، رئيس تحرير صحيفة «الشرق الأوسط» وتلفزيون «العربية» الأسبق، ولا تخدم رؤية الرياض القائمة على «السلام الاقتصادي والقُطري». وحتى في أيام الرئيس الراحل، «المعتدل»، ياسر عرفات، عمل الناشطون الفلسطينيون في خدمة أجندات مصر وسوريا والعراق، ونادراً ما كانت القيادة الفلسطينية مطيعة للرياض، بل إنها وقفت مع صدام حسين في غزوه الكويت. كثير من تلك الهواجس قابلة للدحض، فقد لعب المال الخليجي دوراً هائلاً في تطويع الفلسطينيين، الذين خسروا بأتباعهم الخليجيين السلاح والتحالفات و«أوسلو». وما يُؤسف له أن تكون هذه الهواجس متبادلة، وهي في طريقها إلى التزايد، ما يجعل العلاقات مشوبة بكثير من العُقد. وعلى الأرجح، سيُستغلّ ذلك للذهاب في تطبيع مضرّ بالمنطقة وقضاياها.

رابعاً، تنامي «الميليشات»

لا ترى السعودية «حزب الله» و«حماس» و«الجهاد» حركات مقاومة ضد احتلال غاشم، وتشترك مع الصهاينة في إبراز تلك الفصائل المسلحة باعتبارها مشكلة أمنية. يسمّونها الميليشيات، و«أذرع إيران» التي تمثل «دولة داخل الدولة» وتُزعزع الاستقرار، مثل «حماس» المتمردة على السلطة الفلسطينية، و«أنصار الله» المتمردين على ما يسمى «الشرعية اليمنية»، و«حزب الله» الطرف النافذ في لبنان، والداعم للطرفين المذكورين ضد السعودية والصهاينة. وذلك موجب للتقارب بين مملكة وكيان يشتكيان من قوى غير نظامية، عسكرية تتضخّم على حدودهما. هكذا يتحدث السعوديون.

خامساً: انتعاش المحاور

الموقف السعودي سيبرز على نحو أسوأ، لو افترضنا أن «اتفاق بكين» مع إيران لم يُبرم. لكن «الطوفان» يذكّر بوجود رؤى متعددة في «الشرق الأوسط»، ولا يمكن للمصالحات الإقليمية، التي نشجّعها وندعمها بكل قوة، أن تخفي المحاور الثلاثة الفاعلة: السعودي - المصري، والتركي – القطري، والإيراني، والتي تتفق في أمور وتختلف في أخرى. ومن المفيد أن تدار تبايناتها على نحو لا يدفع نحو مزيد من الشقاق. ومن سوء الحظ، أن السعودية تعدّ هزيمة إسرائيل في هذه الحرب انتصاراً لمحور إيران المنافس، تماماً كما كان يرى سعود الفيصل عدوان تموز 2006، وهذا ما يجعل التطبيع في عيونها قضية لا حياد عنها، إلا إذا تمكنت طهران من إقناع الرياض بالانضمام إلى محور المقاومة - وهذا سيناريو خرافي -، أو تأجيل التطبيع إلى حين. بالنسبة إلى إيران، فقد أثبتت قدرتها الفائقة على نسج علاقات مع تركيا وقطر و«حماس»، حتى في ذروة الخصام الدموي في سوريا، وهي ستعمل جهدها للحفاظ على علاقات مع الرياض، حتى في ظلّ الخلاف حول «الطوفان» والتطبيع، بل حتى لو ذهبت السعودية إلى التطبيع، فلا تستطيع الجمهورية الإسلامية فرض إيقاعها على الدول الأخرى.

سادساً: انهيار العرب

ما يشجع الخليجيين على التطبيع، انهيار الحالة العربية، إثر حمامات الدم التي نزفتها المنطقة في حروب «الربيع العربي» وما تلتها من جولات، أدت إلى إضعاف الأمن الإقليمي وكل من سوريا ومصر وليبيا والسودان وتونس ولبنان ودول أخرى، بما يذكّر بالانهيار العربي الذي أعقب غزو صدام حسين للكويت في صيف 1990، الذي استُثمر غربياً وعربياً لفرض «اتفاقيات أوسلو» المذلة. وبالنسبة إلى الأميركيين، الذين أسهموا في إرهاق المنطقة، يجدر استثمار هذه اللحظة لرفع علم الاحتلال في الرياض، فيما العلاقات الاقتصادية والرياضية وتبادل الزيارات قطعت شوطاً مهماً بين الطرفين.

> بعض المتفائلين ما زالوا يأملون أن يعلن ولي العهد السعودي إقامة دولة على حدود 67 كشرط مسبق للتطبيع

سابعاً: التوازن المختل

مع إبراز «قناة العربية» الأصوات الناقدة للمقاومين في غزة، وخياراتهم السياسية ونهجهم الجهادي وتحالفاتهم الإقليمية، فإن أقصى ما يأمله الفلسطينيون أن لا ترتفع الإدانات من المنظومة الرسمية العربية على نحو يتجاوز ما شاهدناه في البيانات الحكومية، التي لا أحد يفهم منها شيئاً. فلا أحد في العالم يتوقّع من الرياض إعلان حظر نفطي، كما حدث في تشرين الأول 1973، أو مدّ «حماس» بالمال والسلاح والسند السياسي. ولا أحد يأخذ على محمل الجد المقولات السعودية عن إقامة «دولة فلسطينية»، عاصمتها القدس الشرقية، كمتطلّب استباقي لإقامة علاقات مع دولة الاحتلال، حتى في ضوء ما أثبته «الطوفان» من إمكانية ذلك، بل وأكثر. لكن بعض المتفائلين ما زالوا يأملون أن تعلن السعودية وضع التطبيع في الثلاجة، أو أن يعلن ولي العهد السعودي شخصياً ورسمياً إقامة دولة على حدود 67 كشرط مسبق للتطبيع!

طوفان الأقصى

النظام يكبّل الأردنيّين: تضامنوا... بحدود

عمّان - الأخبار

عبّر الشارع الأردني عن موقفه من أحداث غزة بطريقة لا تترك مجالاً للشك: «قالوا حماس إرهابية؟ كل الأردن حمساوية». وخرج آلاف الأردنيين إلى شوارع المدن دعماً لعملية «طوفان الأقصى» وخيار المقاومة المسلّحة لتحرير فلسطين. ومنذ بدء العملية، دعا «ملتقى دعم المقاومة» إلى وقفة احتجاجية قرب مسجد الكالوتي في عمّان، رافقتها احتجاجات من مخيمات اللجوء

> **الاحتجاجات في الأردن تجاوزت مفهوم التضامن بكثير، لكنها لم تدخل بعد في حيّز التأثير على القرار الرسمي**

الفلسطينية، وعدد من الجامعات الرسمية. وتزامنت غالبية التحركات مع صلاتَي المغرب والعشاء؛ وبذلك، كانت الفعالية الواحدة تنطلق على الأقلّ بمجموع المصلّين في المسجد، الذي تحوّل دوره منذ زمن، من الحشد الثوري ودعم هموم الناس، إلى نشر بروباغندا الحكومة ودعوة الشعب إلى الصبر على الفقر. وبخلاف تنازع الكتل الطالبية على شكلها ومضمونها، سارت الوقفات الجامعية على ما يرام، ما عدا وقفة «الجامعة الهاشمية»، حيث قرّرت عمادة شؤون الطلبة إنهاءها بعد بدئها بخمس دقائق، على رغم أن العمادة نفسها كانت قد دعت إلى الوقفة والتقطت صوراً ترويجية لها مع الطلبة المحتشدين. وعلى خلفية الإلغاء، دعت «كتلة العهد الطلابي» إلى مسيرة أخرى تجوب الجامعة ولا تستلزم موافقة العمادة ولا مشاركتها. ودفع ذلك جامعات أخرى، بما فيها الخاصة، إلى التخلّي عن الدعوات التضامنية الخجولة والحشد لتنظيم وقفات احتجاجية جادّة.

إلّا أن كلّ هذه الوقفات لم تخرج عن نطاقها المتوقّع، حتى في الوقفة الحدودية، التي وصل إلى أخرها 30 شخصاً فقط، بعد أن أغلقت دوريات الأمن جميع الطرق المؤدية إلى مكان الاحتجاج في ساحة الجندي المجهول في بلدة الكرامة الحدودية. واعتقل رجال الأمن نصف المشاركين الأردنيين إلى شوارع المدن دعماً لعملية «طوفان الأقصى» وخيار المقاومة المسلّحة لتحرير فلسطين. ومنذ بدء العملية، دعا «ملتقى دعم المقاومة» إلى وقفة احتجاجية قرب مسجد الكالوتي في عمّان، رافقتها احتجاجات من مخيمات اللجوء الفلسطينية، وعدد من الجامعات الرسمية. وتزامنت غالبية التحركات مع صلاتَي المغرب والعشاء؛ وبذلك، كانت الفعالية الواحدة تنطلق على الأقلّ بمجموع المصلّين في المسجد، الذي تحوّل دوره منذ زمن، من الحشد الثوري ودعم هموم الناس، إلى نشر بروباغندا الحكومة ودعوة الشعب إلى الصبر على الفقر. وبخلاف تنازع الكتل الطالبية على شكلها ومضمونها، سارت الوقفات الجامعية على ما يرام، ما عدا وقفة «الجامعة الهاشمية»، حيث قرّرت عمادة شؤون الطلبة إنهاءها بعد بدئها بخمس دقائق، على رغم أن العمادة نفسها كانت قد دعت إلى الوقفة والتقطت صوراً ترويجية لها مع الطلبة المحتشدين. وعلى خلفية الإلغاء، دعت «كتلة العهد الطلابي» إلى مسيرة أخرى تجوب الجامعة ولا تستلزم موافقة العمادة ولا مشاركتها. ودفع ذلك جامعات أخرى، بما فيها الخاصة، إلى التخلّي عن الدعوات التضامنية الخجولة والحشد لتنظيم وقفات احتجاجية جادّة.

إلّا أن كلّ هذه الوقفات لم تخرج عن نطاقها المتوقّع، حتى في الوقفة الحدودية، التي وصل إلى أخرها 30 شخصاً فقط، بعد أن أغلقت دوريات الأمن جميع الطرق المؤدية إلى مكان الاحتجاج في ساحة الجندي المجهول في بلدة الكرامة الحدودية. واعتقل رجال الأمن نصف المشاركين من وسط البلد. ورصدت كاميرات أهالي المنطقة عشية الفعالية، إغلاق الساحة بشاحنات المياه وتمركُز القوات الأمنية قبل موعدها بثلاث ساعات. وعندما بدأ توافد المشاركين مبكراً، دفع الأمن بالمتظاهرين حتى انتهاء الصلاة، كان لا يزال هناك آلاف الأردنيين فيما امتدّت المسيرة من المسجد الحسيني حتى رأس العين. وبالتزامن مع ذلك، توجّه مئات الشبان الأردنيين إلى الحدود غير آبهين بقرار «الداخلية» منع التظاهر في مناطق الأغوار والحدود، وقيام الأجهزة الأمنية بكلّ التدابير لمنع ذلك. وقبل أن يقترب الشبّان من مكان الاحتجاج، أعاق الأمن وصولهم، فتركوا سياراتهم في الشارع ونزلوا سيراً على الأقدام، وهم يهتفون للمقاومة في غزة. لكنّ الأمن واجههم بقنابل الغاز، فنظّم جزء منهم وقفة هناك على الطريق المؤدّي إلى الحدود، فيما عادت بقيّتهم إلى المشاركة في وقفة وسط البلد. هكذا، فجأة، أصبحت منطقة الأغوار والمناطق الحدودية محظورة، وتتولّى القوات المسلحة حمايتها وضبط الأمن فيها، بحسب إعلان «الداخلية»، على رغم أن الأمن نفسه يسّر وصول المواطنين إلى هذه المناطق في الاحتجاجات الشعبية التي رافقت عملية «سيف القدس» قبل عامين. وبهذا، تُقفل الحكومة، مع الوقت، الأماكن «المسموحة» للاحتجاج، إمّا لطلبات إسرائيلية متّصلة بتزايد عمليات تهريب الأسلحة والتسلّل بين الضفّتَين، وإمّا لأن المسؤولين الأردنيين أخذوا موقفاً شخصياً من تأثير محمد الضيف الذي لبّى الأردنيون نداءه للاحتجاج. وعلّقت صفحة «الموساد الساخر» على منصة «X» على مشهد قمع المتظاهرين في وقفة الحدود، بأن «القوات الأردنية اصطفّت على الحدود مع إسرائيل لمنع انصار الإرهاب من الوصول والهجوم. رفاهية لم نكن نملكها في أعوام 1948 و1967 و1973»، بينما غابت الأذرع الإعلامية الرسمية، وأبرزها «قناة المملكة» عن الإشارة إلى هذه الوقفة. وعندما دعت الأحزاب الأردنية إلى وقفة، أول من أمس، قرب السفارة الأميركية بالتزامن مع زيارة وزير الخارجية الأميركي، أنتوني بلينكن، لعمّان، للقاء الملك عبدالله الثاني ورئيس السلطة الفلسطينية، محمود عباس، أغلقت القوات الأمنية جميع المنافذ المؤدية إلى السفارة وحاصرت المحتجّين حتى فرّقتهم. لكنّ مجموعة قارب عددها الـ200 شخص تمكّنت من التوقّف في منطقة قريبة، وهناك هتفت: «الحكومات العربية، حكومات صورية، أما الحكومة الفعلية، فهي السفارة الأميركية».

مع هذا، فقد الفعل الاحتجاجي في الأردن معناه بعد احتجاجات الدوار الرابع عام 2018، والتي أسقطت حكومة هاني الملقي، لكنها لم تحمل تعديلات جدّية في قرارات الحكومة السياسية والاقتصادية. كما لم تقدّم الوقفات الاحتجاجية المرتبطة بفلسطين أيضاً أكثر من قيمة رمزية وتوعوية، إذ لم تفلح الحشود الرافضة لاتفاقية الغاز الأردنية - الإسرائيلية أو اتفاقية المياه مقابل الطاقة، في التأثير على قرار الحكومة التي مرّرت مشاريع الارتهان هذه من دون استشارة مجلس النواب.

كذلك، تحوّلت الوقفة بجانب مسجد الكالوتي الذي يبعد عن السفارة الإسرائيلية كيلومتراً ونصف كيلومتر في منطقة الرابية، إلى فعالية أكثر من كونها فعلاً احتجاجياً، حيث تمركزت في مكان محدّد لا يستطيع المحتجّون تجاوزه بمتر واحد، على رغم أن طاقم السفارة الإسرائيلية غادر المبنى منذ بدء العملية. وبعد ساعة، قال رجال الأمن للمتجمّعين: «يلا خلصنا، كلّ واحد على داره».

وتعوق هندسة الاحتجاج في الأردن استكشاف مساحات أخرى لتنظيم الوقفات، إذ أغلقت الحكومة الدوار الرابع المحيط برئاسة الوزراء، وخصّصت ساحة الكالوتي المربّعة لوقفات فلسطين. وعلى رغم أن قانون الجمعيات العامة الأردني لا يخوّل محافظ العاصمة قبول أو رفض حدث معيّن، إذ يُلزم المنظّمين فقط بإبلاغه لأسباب أمنية، إلا أن الممارسة العملية تشير إلى صلاحية المحافظ منع عقد وقفة قبل إعلانها وحتى إلقاء القبض على المنظّمين، في ما يتم تبريره بـ«الاعتقال الاحترازي». ولم يكن مؤسفاً بالنسبة إلى الأردنيين أن الموقف لم يرقَ إلى طموحهم، بقدر ما كان مؤسفاً أن الحكومة لا تريد تصدير موقف من الحرب على غزة، ولا تسمح للشعب بتقديم موقفه في الشارع. وعلى وسائل التواصل الاجتماعي، تداول الأردنيون منشورَين: الأول هو للملكة رانيا على «إنستغرام» تقول فيه باللغة الإنكليزية: «ليس دفاعاً عن النفس عندما تكون قوة احتلال»، والثاني مزاعم توجّه طائرة أميركية من قاعدة عسكرية أردنية إلى الأراضي المحتلة. ونفى الجيش الأردني، في بيان، ما سماه «مزاعم كاذبة يتمّ تداولها» حول «استخدام القواعد العسكرية الأردنية من قبل الجيش الأميركي لنقل إمدادات لإسرائيل»، مؤكّداً أن الطائرة المشار إليها عبرت الأجواء الأردنية بعد منحها تصريح عبور وفق الإجراءات القانونية، وأنها «تحمل ركاباً ولا تحمل أيّ معدات». وبعد يومين من نفي الادّعاءات، أكّد الحساب الرسمي للقوات الجوية الأميركية الرافضة لاتفاقية الغاز الأردنية - الإسرائيلية أو اتفاقية المياه مقابل الطاقة، في التأثير على قرار الحكومة التي مرّرت مشاريع الارتهان هذه من دون استشارة مجلس النواب.

كذلك، تحوّلت الوقفة بجانب مسجد الكالوتي الذي يبعد عن السفارة الإسرائيلية كيلومتراً ونصف كيلومتر في منطقة الرابية، إلى فعالية أكثر من كونها فعلاً احتجاجياً، حيث تمركزت في مكان محدّد لا يستطيع المحتجّون تجاوزه بمتر واحد، على رغم أن طاقم السفارة الإسرائيلية غادر المبنى منذ بدء العملية. وبعد ساعة، قال رجال الأمن للمتجمّعين: «يلا خلصنا، كلّ واحد على داره».

وتعوق هندسة الاحتجاج في الأردن استكشاف مساحات أخرى لتنظيم الوقفات، إذ أغلقت الحكومة الدوار الرابع المحيط برئاسة الوزراء، وخصّصت ساحة الكالوتي المربّعة لوقفات فلسطين. وعلى رغم أن قانون الجمعيات العامة الأردني لا يخوّل محافظ العاصمة قبول أو رفض حدث معيّن، إذ يُلزم المنظّمين فقط بإبلاغه لأسباب أمنية، إلا أن الممارسة العملية تشير إلى صلاحية المحافظ منع عقد وقفة قبل إعلانها وحتى إلقاء القبض على المنظّمين، في ما يتم تبريره بـ«الاعتقال الاحترازي». ولم يكن مؤسفاً بالنسبة إلى الأردنيين أن الموقف لم يرقَ إلى طموحهم، بقدر ما كان مؤسفاً أن الحكومة لا تريد تصدير موقف من الحرب على غزة، ولا تسمح للشعب بتقديم موقفه في الشارع. وعلى وسائل التواصل الاجتماعي، تداول الأردنيون منشورَين: الأول هو للملكة رانيا على «إنستغرام» تقول فيه باللغة الإنكليزية: «ليس دفاعاً عن النفس عندما تكون قوة احتلال»، والثاني مزاعم توجّه طائرة أميركية من قاعدة عسكرية أردنية إلى الأراضي المحتلة. ونفى الجيش الأردني، في بيان، ما سماه «مزاعم كاذبة يتمّ تداولها» حول «استخدام القواعد العسكرية الأردنية من قبل الجيش الأميركي لنقل إمدادات لإسرائيل»، مؤكّداً أن الطائرة المشار إليها عبرت الأجواء الأردنية بعد منحها تصريح عبور وفق الإجراءات القانونية، وأنها «تحمل ركاباً ولا تحمل أيّ معدات». وبعد يومين من نفي الادّعاءات، أكّد الحساب الرسمي للقوات الجوية الأميركية على «X» وصول طائرة بريطانية من طراز «15E Strike Eagle-F» إلى منطقة القيادة المركزية الأميركية في الأردن، لتعزيز الموقف الأميركي والعمليات الجوية في جميع أنحاء الشرق الأوسط، بما فيها «القتال بين حماس وإسرائيل». على أيّ حال، إذا كانت أميركا لم تستخدم قواعدها في الأردن هذه المرّة، فبالتأكيد هي لم تتكبّد مليارات المساعدات والمعدات العسكرية لتزيين صحراء الأردن فحسب، بل إن اتفاقية الدفاع المشتركة بينها وبين عمّان لعام 2021 جاءت لضمان صلاحيات أميركا وقواعدها على الأرض الأردنية. وتتيح اتفاقية «وضع القوات» التي وقّعتها الحكومة الأردنية عام 1996، للقوات الأميركية وأسلحتها الدخول إلى الأراضي الأردنية والخروج منها من دون أن تخضع للتفتيش، عدا تخزين الموارد في 15 منشأة عسكرية من دون ضرائب أو جمارك، وضمان حرية ارتداء اللباس العسكري وحيازة السلاح.

بالنتيجة، تجاوزت الاحتجاجات في الأردن مفهوم التضامن بكثير، لكنها لم تدخل بعد في حيّز التأثير على القرار الرسمي، أو تهديد الاتفاقيات التطبيعية مع إسرائيل والارتهانية مع أميركا، أو حتى إتاحة هامش أكبر من التعبير عن الرأي بعد إقرار قانون الجرائم الإلكترونية منذ شهرين. لكن أخيراً، ناشدت وزارة الصحة الفلسطينية الملك الأردني الإبقاء على المستشفى الميداني في غزة وكوادره، في ظلّ استنزاف الموارد الطبية وانهمار الصواريخ على المدنيين. وبعد أن أعلنت وسائل إعلام أردنية أن المستشفى خرج عن الخدمة بشكل تامّ جراء القصف الإسرائيلي المكثّف على المناطق المحيطة به، وجّه الملك بإبقائه، في ما يبدو أن هذا هو أقصى ما يستطيع فعله.

خرج آلاف الأردنيين إلى شوارع المدن دعماً لعملية «طوفان الأقصى» (أ ف ب)

إسرائيل تعربد... في سوريا أيضاً: تعطيل مطار حلب قبل عودته بساعات

علاء حلبي

بعد أقلّ من 48 ساعة على عدوان مزدوج استهدف مطارَي دمشق وحلب، وقبل بضع ساعات من عودة الأخير إلى العمل إثر صيانته، دمّر عدوان إسرائيلي جديد أطراف مدرّجات مطار حلب لتمتدّ مدة خروجه عن الخدمة. ويأتي ذلك ضمن محاولات الاحتلال توسيع «دائرة النار» - ذات الأغراض الردعية - على خلفية الضربة غير المسبوقة التي تعرّض لها في عملية «طوفان الأقصى» التي نفّذتها المقاومة الفلسطينية، وأسفرت في نتائجها الأولى عن تهشيم صورة الكيان الأمنية والعسكرية، وإدخاله في حالة «جنونية» مدعومة من واشنطن وحلفائها في أوروبا.

الاستهداف الجديد الذي جاء مكرّراً عبر صواريخ أُطلقت من طائرات حلّقت فوق البحر المتوسط غربي سوريا، وفق تكتيك اتّبعه الاحتلال منذ إسقاط الدفاعات الجوية السورية طائرة «F15» عام 2018، تمكّنت بعض الصواريخ التي أُطلقت أثناءه، حيث سُمعت أصوات الدفاعات في الساحل السوري، في حين تمكّنت أخرى من الوصول إلى مدرجات المطار وإحداث أضرار فيه. ودفع ذلك وزارة النقل السورية إلى إعادة جدولة الرحلات المدنية مرة أخرى، وتغيير مسارها إلى مطار اللاذقية الدولي.

وعلى غرار العدوان السابق، سارع الاحتلال إلى الإعلان عن استهداف المطار، معتبراً أن هذا العدوان جاء رداً على إطلاق قذائف من الأراضي السورية على الشريط الفاصل مع الأراضي المحتلة، في وقت أعادت فيه وزارة الدفاع السورية ربطه بالأحداث التي تشهدها سوريا منذ أكثر من عقد، مشيرة إلى أن «هذا العدوان الجديد هو تأكيد على النهج الإجرامي لكيان الاحتلال الإسرائيلي الذي يتجسّد بوضوح في جرائمه المتواصلة تجاه الشعب الفلسطيني والمجازر التي يرتكبها بحق المدنيين الأبرياء من نساء وأطفال». وأضافت الوزارة، في بيان، أن الاعتداء «دليل واضح على أن هذا العدو الإرهابي لا يقيم وزناً للقوانين والأعراف الدولية، وهو باعتدائه على المطارات المدنية يثبت أنه أصل الإرهاب والداعم الأكبر للتنظيمات الإرهابية في المنطقة، وسوريا بخاصة».

وبدا لافتاً، في العدوان الجديد على مطار حلب، أنه تزامن مع تمكّن الجيش السوري من إسقاط مسيرات انتحارية أطلقتها فصائل «جهادية» في محاولة لاستهداف المدينة التي استعادت الحكومة السورية السيطرة عليها أواخر عام 2016، ووسّع دائرة تأمينها عبر تمديد السيطرة على الفاصل مع الأراضي المحتلة في الجولان السوري، والذي كان يسيطر عليه عدد من الفصائل، بعضها «جهادية» أُخرجت إلى إدلب وفقاً لاتفاقية رعتها روسيا. وطاولت الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة عدداً من المناطق من البلاد، بينها مطارا حلب ودمشق بالإضافة إلى مرفأ اللاذقية. وفي سياق متصل، ذكرت مصادر عسكرية سورية أن الجيش السوري تسلّم دفعة جديدة من الأسلحة الروسية، بينها بطاريات مدفعية من طرازَي «30-D» و«M-46»، ضمن عمليات التعاون العسكري السوري - الروسي، والذي يشمل بالإضافة إلى توريدات الأسلحة، عدداً من التدريبات المشتركة، أخرها تدريبات على عبور المسطحات المائية، وعمليات إنزال جوي وغيرها.

وتستعمل إسرائيل، في معرض تبرير اعتداءاتها المتواصلة على سوريا، ذريعة «منع إيران من التموضع في سوريا»، ضمن سياسة إعلامية هدفها عدم التشويش على نشاط الفصائل، وفقاً لتعبير مصدر سوري، أشار إلى أن الاعتداءات الإسرائيلية تستهدف مباشرة الجيش السوري، مستغلّةً الضرر الذي لحق بالدفاعات الجوية السورية في سنوات الحرب، إذ مثّلت «كتائب الدفاع الجوي» أحد أبرز الأهداف التي استهدفتها الفصائل بداية الأزمة. وبالإضافة إلى هذه الاستهدافات، حال خروج مناطق عن سيطرة الحكومة دون إعادة نشر منظوماتها الدفاعية على كامل الأراضي السورية، في وقت تلعب فيه الولايات المتحدة، التي تتمركز في عدد من القواعد في المناطق النفطية شرقي البلاد وفي منطقة التنف عند المثلث الحدودي مع الأردن والعراق، دوراً بارزاً في عمليات دعم الاحتلال، وفقاً للمصدر نفسه.

> **تزامن العدوان الإسرائيلي الجديد على مطار حلب مع تمكّن الجيش السوري من إسقاط مسيرات انتحارية كانت تستهدف المدينة**

السوري عمليته العسكرية ضدّ تلك الفصائل في إدلب، شمال غربي البلاد، على خلفية المجزرة التي شهدها حفل تخريج دفعة ضباط في الكلية الحربية في حمص، والتي تسبّبت في مقتل 137 شخصاً بينهم نساء وأطفال كانوا يحضرون الحفل. وفي هذا السياق، أشار مصدر ميداني، في حديث إلى «الأخبار»، إلى أن الجيش السوري نفّذ رميات مدفعية واستهدافات بالصواريخ الموجّهة بعد عمليات رصد دقيقة لتحركات المسلّحين، موضحاً أنه استُهدفت بضع آليات كان يستخدمها المسلّحون، من بينها سيارتان كانتا تقلّان مقاتلين في ريف اللاذقية، الذي ينشط فيه مقاتلون تابعون لـ«الحزب الإسلامي التركستاني»، أحد الفصائل المتعاونة مع «هيئة تحرير الشام» (جبهة النصرة سابقاً)، والتي تسيطر على إدلب.

ومنذ بداية الحرب عام 2011، شهدت سوريا اعتداءات إسرائيلية متواصلة، سجّلت ارتفاعاً ملحوظاً بعد عام 2018، عندما استعانت الحكومة السورية، بمساعدة روسية، السيطرة على جنوب البلاد، بما فيه الشريط محيطها عام 2020. وشهدت المدينة، في الشهور الثلاثة الماضية، عدداً من المحاولات لشنّ هجمات بطائرات مسيرة تمكّن الجيش السوري من إسقاطها. وأتت المحاولة الجديدة في الوقت الذي يتابع فيه الجيش

استراحة

إعداد **نعوم مسعود**

كلمات متقاطعة 4429

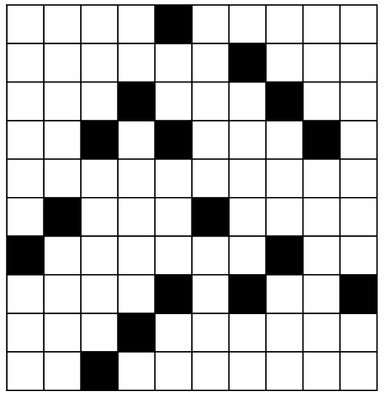

أفقيا

1- إله فينيقي – من الفاكهة – 2- صفيحة من خشب – الحصان الأسود – 3- سعل – قبل اليوم – غلبه وتفوّق عليه – 4- من الأشجار – من الحيوانات – 5- أحد المساجد المقدسة عند المسلمين – 6- دولة أفريقية – جرى الدمع – 7- أمر فظيع – نسبة الى مواطن من بلد أسيوي – 8- من الطيور – دولة أفريقية – 9- مدينة مغربية – طرف من الجنون وخفة العقل – 10- مدينة فرنسية – أغلظ أوتار العود

عمودياً

1- احدى الولايات المتحدة الأميركية – أصل البناء – 2- من الأشجار – بحيرة روسية – 3- صفرة البيض – جرى الماء – من الأشجار – 4- مدينة عراقية – من الحيوانات – 5- مدينة بلجيكية – جمل صالح للركوب – 6- أكل – عضو السمع – سقي – 7- نوتة موسيقية – عاصمة آسيوية – 8- طريق غير نافذ – يُبيده – 9- يحركهم برفق – يطوف في البلاد – 10- شدة البرد – صوّر على ورقة

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- غوبلز – جنوب – 2- اندورا – قاد – 3- رد – ماتادور – 4- يسر – دفتر – 5- بوتيشلي – رك – 6- أر – بت – ليما – 7- را – ناداب – 8- دردبيس – بدر – 9- ي ي ي – نيجر – 10- شفيق جدايل

عمودياً

1- غاريبالدي – 2- وندسور – ريش – 3- بد – رت – رديف – 4- لوم – يباب – 5- زرادشت – ينقِ – 6- أتفل – نسيج – 7- اتيلا – جد – 8- نقدِر – يدبرّا – 9- واو – رماد – 10- بدرو كابرال

sudoku 4429

	7		9					3
	8			6			1	
2	1	5			8	7		
	6		8				4	
	3	2		4		1	8	
	9				3		6	
6			2					1
1		3				4		8
		8			4	6		

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 4428

4	5	2	1	9	6	3	8	7
8	3	1	2	7	5	9	6	4
9	7	6	3	4	8	5	2	1
1	2	5	7	3	9	8	4	6
6	4	3	8	5	1	7	9	2
7	8	9	4	6	2	1	5	3
3	9	4	5	2	7	6	1	8
5	1	7	6	8	4	2	3	9
2	6	8	9	1	3	4	7	5

مشاهير 4429

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

ممثل إنكليزي والده مصمم أزياء لفرق الرقص. من أفلامه «ترانسبورتر» 1+8+11+4+6 = من الحيوانات ■ 3+5+4+7 = دولة عربية ■ 9+10+2+11 = وقت بالأجنبية

حل الشبكة الماضية: **شاكر السماوي**

طوفان الأقصى

«طوفان الأقصى»: الأفق والتوقّعات

منير شفيق *

> هذه الحرب قد تشفي غليل المهزومين الحاقدين في الانتقام من الشعب، ولا سيما النساء والأطفال وكبار السن، لكنها لا تُكسبهم حرباً ولا ترُدّ لهم هيبة مدحَرَة

ثلاث مراحل حتى الآن للحرب التي اندلعت في السابع من تشرين الأول/ أكتوبر 2023، وقد انطلقت بخطاب مهيب بصوت القائد الفذ محمد ضيف (أبو خالد). وحملت عنواناً رئيسيّاً من كلمتين «طوفان الأقصى». وبهذا ابتدأت المرحلة الأولى من الحرب. وقد اتّسمت بما شاهدناه في الأيام الثلاثة أو الأربعة الممتدة من 7 إلى عشرة أكتوبر. وهي مشاهد لا تنسى.

ليس ثمة ثلاثة أيام في تاريخ دفاع الفلسطيني عن وطنه وشعبه ومستقبله يشبهها، من حيث العبقرية العسكرية في القيادة، والإتقان الحرفي التكتيكي الميداني في الخطة، والتنفيذ. وأخيراً، وليس آخراً، من حيث إنزال هزيمة عسكرية بالجيش الصهيوني على يد المقاومة الفلسطينية الأقل عدةً وعديداً وتسلحاً.

ما يجب أن يقال في هذه المرحلة يمكن أن يتذكره كل فرد فلسطيني وعربي ومسلم، كما كل حر في هذا العالم، وهو يشاهد ويتفاعل ويتفاعل، غير مصدق ما يرى ويحدث. ودعك من الدموع التي ذرفتها ملايين العيون والقلوب.

إنها المرحلة التي صنعت انتصاراً تاريخياً لقضية فلسطين، وهزيمة تاريخية لجيش الكيان الصهيوني ولأميركا. بل لكل الغرب الذي اعتبرها، ظالماً لنفسه ومتطوعاً، هزيمة له، وقد أطارت صوابه، وذلك كما عبّر عنه من مواقف عدائية، وردود فعل، وتحريك حاملات طائرات إلى المتوسط.

دخلت المرحلة الثانية بقرار صهيوني أميركي، يبدأ باستعادة السيطرة على ما سمي بغلاف غزة، وباستراتيجية قصف جوّي وصاروخي ومدفعي لقطاع غزة، مستهدفاً المدنيين وبيوتهم، وقد وصل به، هذا الذي اعتبر وبعتبر جريمة حرب وإبادة بشرية، إلى أن يضرب المشافي المكتظة بالجرحى والجثث في غرفها، وردهاتها ومداخلها وساحاتها.

إنها مرحلة الانتقام الجماعي من أهل غزة تحت شعار القضاء على «حماس» و«الجهاد» اللتين لن تصابا بالمرحلة الثانية إلا بالقليل النادر، فيما راح يتواصل إطلاق الصواريخ، بقوّة، والتسلل إلى ما وراء السياج.

المرحلة الثانية، هي حرب الانتقام من المدنيين، والمساكن والمشافي، والبنى التحتية، أي هي الجانب القذر الذي تحمله الحرب المضادة ضد أهالي قطاع غزة. وقد أثبتوا، بدورهم، صموداً أسطورياً وبطولة، وصبراً جميلاً ما بعده من صبر.

على أن هذه الحرب قد تشفي غليل المهزومين الحاقدين في الانتقام من الشعب، ولا سيما النساء والأطفال وكبار السن، لكنها لا تُكسبهم حرباً، ولا ترُدّ لهم هيبة مدحَرة. ولهذا راحوا يعدون للمرحلة الثالثة. وهي اقتحام قطاع غزة. وهو الشرط الوحيد للوصول إلى «قوات عز الدين القسام»، وقوات «سرايا القدس»، وكل من يحمل السلاح من فصائل مقاومة في الميدان.

المرحلة الثالثة ستبدأ باقتحام قطاع غزة، وهي التي ستحسم نتيجة الحرب. لأن الحرب لا تُكسب إلا على الأرض، وفي ميدان القتال، كما حدث في المرحلة الأولى مثلاً.

إن الدخول إلى قطاع غزة من قبل الجيش الصهيوني بالدبابات والطوافات والمسيّرات وبالمشاة سوف يفقده نقطة قوّته الوحيدة، وهي القتال من خلال القصف الجوي والبحري والبري، بعيداً من أي اشتباك مع المقاتلين من أسود المقاومة. إن الهجوم البري يعني أن المعركة أصبحت على الأرض، والاشتباك من نقطة الصفر. وهنا ستحسم المعركة، وسيذوق الجيش الصهيوني هزيمة عسكرية، وسيكون مداها بالقدر الذي يدخل فيها. أي إذا جعلها معركة حسم فاصلة، وهزم فيها، فسيكون أمام القوات التي انقضّ عليه في المرحلة الأولى، مضاعفة عديدها أضعافاً، طريق مفتوحة حتى الخليل وبيت لحم وربما القدس. فالجيش الذي يُهزم في المعركة الفاصلة، ويولي الإدبار، ما على خصمه إلا أن يلحقه بسرعة، لا تسمح له بالتقاط الأنفاس.

إن الارتكاز على ما أبدته قيادة محمد ضيف وإخوانه، واضعي خطة الهجوم، في المرحلة الأولى، تسمح بوضع أعلى ثقة بتلك القيادة في مواجهة دحر الهجوم البري على قطاع غزة. وأضف: وحدة المقاومة والشعب.

(أ ف ب)

وإن التجربة مع القيادة العسكرية والسياسية الصهيونية في تلقيها حرب المرحلة الأولى، وكيفية التعاطي مع الهجوم، ولو كان مفاجئاً، تسمح بانتظار أخطاء القيادة نفسها، وكيفية مواجهتها للصدمات. لأننا ما زلنا أمام الحالة نفسها. ففي الحرب والسياسة تجد الأخطاء تجرّ بعضها، والصواب يجرّ بعضه. إنها مسألة منهج وعقلية في الحالتين. وكما يقول المثل الشعبي: «المال يجرّ المال والقمل يجرّ السبيان».

على أن نقطة أخرى مهمة يجب التوقف عندها، ونحن نلقي نظرة على المراحل الثلاث المذكورة؛ وهي المتعلقة بالمرحلة الثانية، وهي مرحلة الانتقام الجماعي، وارتكاب جرائم الحرب، بحق أهالي قطاع غزة. وذلك ما راحت تشكله من سوء سمعة للكيان الصهيوني، ولأميركا وحكومات الغرب، في نظر الرأي العام العالمي. وهو ما يمكن أن يُلمس بتعاظم حجم التظاهرات في كل عواصم العالم. وما أخذت جرائم قتل المدنيين تفعله من أثر في وجدان شعوب العالم، وضمائر أحرار العالم.

إن التقاء الانتصارين الميدانيين في المرحلتين الأولى والثالثة، مع التقاء الخسائر الفادحة في شعب يتحلّى بالصبر العظيم، مع انتشار الغضب الشعبي العالمي من الارتكابات الصهيونية، بشكل النتيجة الكلية لهذه الحرب التي ستنتهي وبالاً وكارثة، ليس على الجيش الصهيوني وقيادته السياسية، فحسب، وإنما أيضاً على مستقبل الكيان الصهيوني، وعلى الدول التي ناصرته، ووضعت أقدامها في حذائه. وبكلمة أخرى، ستدفع أميركا، والغرب عموماً، ثمناً معنوياً سيّئ العواقب بسبب الدعم الأعمى للانتقام الجماعي الذي مورس على أهالي قطاع غزة.

* كاتب وسياسي فلسطيني

حبك الرواية الصهيونية قصير

وسام رفيدي *

يبدو أن البضاعة الدعاوية الفاسدة، وسلسلة الأكاذيب الفجة لنتنياهو وناطقه الممثل المسرحي الفاشل أفيخاي أدرعي، ما عادت صالحة للتسويق. بالنسبة إلى كبريات شبكات الإعلام الإمبريالي، أمثال «الواشنطن بوست» و«النيويورك تايمز» و«السي إن إن» و«الغارديان»، فليست بحاجة إلى نتنياهو ولا إلى أفيخاي، فهي جاهزة لفبركة كل ما شاء شيطنة الفلسطيني ومقاومته، وتقديم الفاشيين الصهاينة باعتبارهم «حمامات السلام». فـ«السي إن إن»، الأكثر عدائية لشعبنا بين شبكات الإعلام الإمبريالي فضحت نفسها، إذ تسرّب فيديو يُظهر كيف تفبرك الشبكة صوراً لشيطنة الفلسطيني أمام الإسرائيلي (حمامة السلام)، وقد سحبوا الفيديو عندما انفضح أمرهم.

أمّا بالنسبة إلى الجمهور الغربي العريض، فيبدو أنه كان بحاجة إلى بضعة أيام، على الأقل حتى يوم الخميس الماضي، ليستردّ وعيه، أو إلى الدقة ليمّحي الغباش عن عيونه، ليكتشف أن قصة «قطع رؤوس الأطفال اليهود» مجرد كذبة مفضوحة ورخيصة لا تليق إلا بأبناء مدرسة غوبلز النازي في الإعلام. فحتى البيت الأبيض لم يبلعها، وكذّبها بطريقة غير مباشرة، العجوز بايدن عندما تحدّث عنها، فيما منظر أفيخاي أدرعي وهو يعرض راية «داعش» باعتبارها راية مقتحمي مستعمراتهم كان أشبه بمشهد مسرحي مضحك، وخاصة مع الانفعالية المدّعاة، بصورة مصطنعة تماماً، لمقدمها. وقد ينطلي هذا المشهد على السذّج من الغربيين، وخاصة الأميركيين، والعديد منهم هم فعلاً كذلك، ولكنها لا تنطلي على مَنْ يطرح السؤال البديهي: ما حاجة مقاتلي «حماس» ليرفعوا راية «داعش» عندما يقتحمون المستعمَرة؟ هل سينسبون البطولة والسبق والإنجاز لغيرهم؟ فعلاً إن أفيخاي هذا ممثل فاشل. حتى الإعلام الصهيوني بدأ يتحدث عن تراجع الرواية الصهيونية الدعاوية، وهذا التراجع منطقي، فحبل الكذب قصير كما يقال، وخاصة أن الحبل سبقصر كثيراً عندما تظهر حقيقة بنك الأهداف الصهيوني: المنازل والأطفال والعائلات والمستشفيات والمؤسسات والنازحون وسيارات الإسعاف والصحافيون والتهجير و و و.

ما يؤكد أن البضاعة إيّاها ما عادت صالحة للتسويق، هو انطلاق عشرات المسيرات الألوفية الضخمة خلال اليومين الماضيين، في واشنطن وسياتل ولوس أنجلس وفلوريدا وتورنتو، وفي لندن وبرشلونة وباريس وجنيف وميلانو وروما وبلفاست، وحتى في ألمانيا، موطن النازية الجديدة، في تحدّ جدّي لمنع التضامن. إنّ الحديث يدور حول عشرات الألوف في كل مسيرة، وخاصة في لندن وبرشلونة وجنيف وفرنسا، فيما لم تجد أنظمة الليبرالية الجديدة، الديموقراطية جداً، في فرنسا وإيطاليا وألمانيا، إلا العصيّ وخراطيم المياه والغاز المسيّل للدموع، للتعامل مع الحق بالتعبير الذي يتغنون به.

يمكن ملاحظة أن الجاليات الفلسطينية والعربية والإسلامية أعلنت «النفير العام» للفعاليات الشعبية المناهضة للعدوانية الصهيونية، وتضامناً مع القطاع والمقاومة، وواضح من حجم الأرقام المتداولة إعلامياً للحشود المتضامنة، أن قطاعات واسعة من المواطنين الغربيين انخرطت في الفعاليات في تأكيد جديد على أن متغيرات بدأت تظهر على صعيد الوعي الشعبي الغربي باتجاه افتضاح كذب الرواية الصهيونية والأخذ بالرواية الفلسطينية.

صراع بين روايتين، فلسطينية وصهيونية، على الرأي العام الغربي. ولكن ينبغي التنويه مقدماً بأن الرأي العام رأيان، الرأي الرسمي ومعه شبكات الإعلام الضخمة المعبرة عن الأنظمة الإمبريالية دونما رتوش، وهذا الرأي العام قادر على التأثير على قطاعات شعبية، وحتى على تغذيتها بحقن العنصرية البغيضة. ولنتذكر العنصرية الشوارعية والمؤسساتية ضد الروس بعد العملية العسكرية في أوكرانيا، وكذا ضد السود في الملاعب. وهناك الرأي العام الثاني الذي يمكن وصفه بالشعبي، والذي يتشكل عبر شبكات التواصل والفعاليات والمبادرات والأحزاب اليسارية والشيوعية والنقابات والحراكات الاجتماعية، الشبابية والنسوية، والذي يؤدي فيه النشطاء الفلسطينيون ومنظماتهم الجماهيرية دوراً مهماً، والذي يبدو أن الفعاليات التضامنية خلال اليومين الماضيين تعبير صادق عنه.

على صعيد الرأي العام الشعبي، يجب أن تتنشط الجهود أكثر فأكثر، فهنا التأثير ممكن، وهذا الرأي العام يملك قوة ضغط شعبية على حكومات الدول، إذ في لحظة يصعب القفز عنه، فيحدّ، بالحد الأدنى، من الاندفاعة الغبية لتأييد العدوان الصهيوني. ويملك القدرة على نسف الرواية الصهيونية من أصولها، وخاصة تلك المفصلية الجوهرية دائماً وأبداً في تلك الرواية وهي الهولوكوست، الذي حوّلته الصهيونية إلى عبء على اكتاف كل أوروبي. إن الهولوكوست النازي الألماني الذي ذهب ضحيته الملايين من الأوروبيين، ومنهم اليهود، نجحت الصهيونية في تحويله من مفصلية ضد النازية الألمانية إلى ورقة ابتزاز برضخ لها الأوروبي، حتى كفر، ليتحوّل اليهودي بعد الحرب العالمية الثانية من ضحية للنازية تكسب تعاطف الغرب وتسليحه وموقفه، إلى مرتكب للهولوكوست الجديد ضد الفلسطيني. ضحية تحوّل إلى جلاد، والغرب الإمبريالي الذي تسبّب في كونه الضحية يدعمه بكل قوة وهو جلاد.

* كاتب فلسطيني وأسير سابق

انتصار أهله فلسطين

طراد حمادة *

> إنّ أهمية الانتصار في غلاف غزة أنه انتصار فلسطيني. فهُوية الانتصار تضع مصير دولة العدو على محكّ الوجود

إذا كان طوفان نوح ولادة ثانية للعالم، فإن «طوفان الأقصى» ولادة ثانية لمقاومة الشعب الفلسطيني ونهضة أهل فلسطين لتحرير أرضهم من المحتلين والمستوطنين. انتقال نوعي في إستراتيجية الصراع من حالة الحرب الشعبية إلى حرب التحرير والحرية.

ليس هذا الأمر أمراً بسيطاً في المعنى الإستراتيجي السياسي والعسكري على السواء. إنه متغيّر كبير في مجريات الصراع حول فلسطين غير مسبوق ويشكّل نقلة نوعية سوف تجعل ما بعدها لا يشبه ما قبلها.

تأسيس متين موفّق توفيقاً إلهياً في تحقيق المقاومة الفلسطينية ممثّلة بقوات «القسام» و«القدس» و«العاصفة» وكل فصائل المقاومة، انتصاراً غير مسبوق على جيش العدو، الأمر الذي جعلها سيدة الميدان في أرض فلسطين وبدها في القتال هي العليا. أهمية ما حصل في حرب غلاف غزة أنها عودة الفلسطينيين إلى ديارهم بقوة السلاح، وأنها حرب بين صاحب الدار من المواطنين الأصليين وبين المحتلين المغتصبين والمستوطنين.

لقد نفّذت حركة «حماس» هجوماً على مناطق غلاف غزة، ناجحاً بكل المعايير، العسكرية والاستخبارية والأمنية والتقنية. وتبيّن أنّ العدو الصهيوني في حالة فوضى وانهيار وقد تلقّى هزيمة صريحة لم يسبق له أن شهد مثلها إلا في حرب تموز وفي انسحابه مهزوماً من لبنان، ولكن بأيدٍ فلسطينية هذه المرة. وهذا يضيف أمراً يضاعف من مرارة الهزيمة ويعطي الانتصار مذاقاً طيباً؛ إحساس العدو بهزيمته كان قاسياً وعميقاً، وقد أدرك معاني المتغيّر الجديد على المستوى الإستراتيجي في هذه الحرب، ولذلك جمع كل ما يملك لمواجهة ما اعتبره خطراً وجودياً، تجلّى في ما يلي:

1- إعلان حالة الحرب للمرة الأولى بعد حرب تشرين 1973. واستدعى لأجل ذلك كامل احتياطه العسكري، وهذا عمل شاقّ ومكلف وله دلالاته ومخاطره وآثاره على الوضع الإداري والاقتصادي والنفسي.

2- الدعوة إلى حكومة حرب تجمع الأحزاب كافة.

3- طلب مساندة ودعم الولايات المتحدة الأميركية.

4- السعي إلى حصر الحرب في قطاع غزة، واتباع سياسة الأرض المحروقة وارتكاب جرائم حرب موصوفة ضد الإنسانية.

إنّ محاولة العدو حصر الحرب في قطاع غزة، تظهر ضعفه عن مواجهة حرب وحدة الساحات، حيث يمكن إذا ما تطوّرت الحرب على غزة إلى تدخّل برّي أن تتدحرج، وتتحوّل إلى حرب إقليمية كبرى قد تكون بداية نهاية الاحتلال الصهيوني لفلسطين. إنّ هذا الحشد من الاحتياط لا يُفسّر فقط بمهام حرب غزة، إنه حشد لحرب إقليمية كبرى، لأن الحشد في العلم العسكري هو نصف الحرب. وهي قائمة بوتيرة عالية في غزة وفلسطين ووتيرة وسطى في سوريا ومنخفضة في لبنان. ولذلك يجب الاستعداد لها من كل دول محور المقاومة والدول العربية المحيطة بفلسطين.

يبقى سؤال مشروع هو موقف أميركا من إدارة حرب إقليمية كبرى في الشرق الأوسط، في حين خوضها حرب أوكرانيا- روسيا وهي حرب في أوروبا. وكذلك ما يشغلها في العلاقة مع الصين وصعوبة الوضع الاقتصادي في الغرب ومسألة تأمين مصادر النفط.

الحرب قد تبقى محصورة إلى فترة لكنها سوف تتطوّر إلى حرب واسعة كلما طالت أيامها.

توجد حركة دبلوماسية وجهود لإيقاف الحرب، فهل تسبق التسوية السياسية الحرب الكبرى أم تأتي بعدها؟

إنّ انتصار غزة قد تحقّق على هذا المستوى ولا يغيّر في آثار ما حصل مهما حدث من تدمير وقتل وتهجير وعدوان. لا شك أن هذه الحرب ستجعل من «حماس» القوة الفلسطينية الأولى.

والعدو الصهيوني يحاول ضرب «حماس» في قطاع غزة في حرب دموية شديدة القسوة ليستعيد قوة الردع التي كان يفاخر فيها في أزمنة سابقة لا رجعة لها. لذلك، توجد ضغوط أميركية وأوروبية وتركية وعربية مصرية وخليجية لمنع التحول إلى حرب إقليمية كبرى، واكثر ما يخشاه دخول المقاومة الإسلامية في لبنان هذه الحرب. لكن يجب أن يعرف الجميع أنه لا حياد في هذه الحرب، وأنه لا يمكن تحقيق منع اتساعها إلا بوقف الحرب الجوية على غزة هاشم، وتحقيق أهداف المقاومة الفلسطينية كاملة في معنى ترجمة الانتصار العسكري بتحقيق الأهداف السياسية.

وكنّا نأمل دعماً عربياً لذلك، لكن للأسف القول إنه غير موجود. الجامعة العربية خارج السمع والنظر والنطق والفعل. في زمن الحرب تكشف القوى عن نفسها. وفي حرب فلسطين لا يصح الحياد والغياب والوقوف على التلة. لقد كشف المقاومون في فلسطين واقع النظام العربي المتهالك، لذا يحتاج العرب إلى يقظة ونهوض لأجل نصرة غزة وفلسطين.

إن موقف الجمهورية الإسلامية في إيران، ودول محور المقاومة من اليمن إلى سوريا مروراً بالعراق ثم إلى لبنان، بوصلة الموقف من دعم شعب فلسطين وحقّه في أرضه وتقرير مصيره. وكذلك حركة الشعوب في البلدان العربية والإسلامية. ودعم فلسطين والقدس يكمل ما حقّقته المقاومة في غلاف غزة من انتصار إستراتيجي وتاريخي.

إنّ أهمية الانتصار في غلاف غزة أنه انتصار فلسطيني، لذلك فهُوية الانتصار تضع مصير دولة العدو على محكّ الوجود. فالحرب أعلنت ومستوى حركة الاتصالات الدبلوماسية يرتفع، وكذلك ترتفع أصوات تدعو إلى تسوية حتى لا يسقط الكيان المحتل، مع دعوات مضمرة لتسوية الدولتين الشهيرة، ولا تنفع دبلوماسية تقوم على تجاهل حق الشعب الفلسطيني الذي قاتل ويقاتل من أجل حقّه في العودة وتقرير المصير وقيام دولته المستقلة.

إنّ ما هو متحقّق في واقع الميدان أن غزة انتصرت وأن كلّ ما سوف يحصل في السياسة يكون لصالحها. إنّ فلسطين في طريقها إلى الحرّية.

* كاتب ووزير سابق

لن تسبى فلسطين مرّتين

أيهم السهلي *

في آخر الحرب، ستكون السياسة، هذا مما لا شك فيه، وهذا ما اعتاده التاريخ في كل الأحداث الكبرى. وما يجرب الاحتلال ارتكابه في قطاع غزة من مقتلة بحق الأهل هناك، سيجعل التاريخ يسجل أن هذه المعركة، إمّا أخذتنا مجدداً إلى مشروع وطني تحرري شامل ينخرط فيه الكل المنتصر للحق، وإما ستأخذنا إلى «نهاية» يمكن أن يعنونها السياسيون كما يشاؤون حينها. وبين الاحتمالين الأول والثاني، بون شاسع، ليس بمساحة فلسطين فقط، بل بمساحة الشعب الفلسطيني والشعوب العربية وأحرار العالم من جانب، والثقة التي يقيمها كل هؤلاء مع أصحاب القوة والخطابة التي تعد بإنهاء إسرائيل. وها نحن، وبينما أخطّ هذه المادة التي لن تقدم أو تؤخر، ولن تشفي جريحاً، ولن تعيد شهيداً، يقتل المزيد من الفلسطينيين في غزة، وتقصف منازل الشعب الفلسطيني هناك، وتدمر أرض الشعب الفلسطيني هناك، وتقوم المقاومة بدك الكيان، وتستعد لمزيد من المواجهة المحتملة، بطاقة وإرادة لم تعرفها فلسطين ولم يعرفها العالم في كل المواجهات السابقة. فبعدما كانت المقاومة تفاوض على أسير واحد لديها، اليوم تضرب بيدها على طاولة العالم، وترفض الحديث عن مئات الأسرى (ربما) لديها، قبل أن توقف إسرائيل عدوانها على الشعب الفلسطيني في قطاع غزة.

ولعل هذه الكتابة، أكتبها لأكون صادقاً مع نفسي، أن أكون قد قلت كلمة من أجل المستقبل الذي سيحاسب الجميع على ما فعل اليوم في هذه الحرب التي قد لا تنتهي خلال أيام أو أسابيع، وهي تقتل من جانبنا بمعدل يومي أكثر من 100 طفل فلسطيني، فيما يسجل عدّاد الشهداء حتى لحظة الكتابة هذه (عصر 15/10) أكثر من 2323 شهيداً و9042 جريحاً، بحسب بيانات وزارة الصحة الفلسطينية، التي أكدت أن الاحتلال أباد 55 عائلة في قطاع غزة بشكل كامل.

إذاً، فالحرب القائمة هنا، هي حرب إبادة للفلسطينيين في الداخل الفلسطيني كما يريد الاحتلال، وكما يعلن، إما بقتلهم، وإما بتهجيرهم خارج حدود فلسطين المحتلة. وفي حال نجاح إسرائيل وأميركا والمجتمع الدولي في تنفيذ هذا المخطط، وهذا بعيد جداً عن قدرتهما معاً، فإن الأمر ذاته سيحدث في باقي أنحاء الأرض، وبذلك تكون إسرائيل قد «صححت» خطأ عام 1948، حين لم تكمل تطهيرها العرقي لباقي الفلسطينيين، بحسب رؤية المؤرخ الإسرائيلي المرتد إلى الصهيونية بيني موريس الذي يقول: «لم تكن دولة إسرائيل ستقوم، بدون اقتلاع 700 ألف فلسطيني. كان اقتلاعهم ضرورة قصوى. لم يكن ثمة خيار سوى طرد السكان. كان لازماً تطهير أرض الميعاد، وتطهير المناطق الحدودية والطرق الرئيسيّة. وكان من الضرورة بمكان تطهير القرى، وتمهيد الأرض لقيام مستوطناتنا». وكما لم تنجح في عام 1948، لن تنجح اليوم، ولن تقدر على هزيمة شعب ثابت صموده صلب في أرضه ووجوده.

إنّ «الإبادة» هذه، التي يمكن استنباط نية الاحتلال القيام بها منذ تأسيسه وما قبله كقاعدة، ومنذ انطلاق المعركة أيضاً، ومن خلال وسم المقاومة الفلسطينية بـ«داعش»، والإنجاز لغيرهم؟ فعلاً إن أفيخاي هذا ممثل فاشل. حتى الإعلام الصهيوني بدأ يتحدث عن تراجع الرواية الصهيونية الدعاوية، وهذا التراجع منطقي، فحبل الكذب قصير كما يقال، وخاصة أن الحبل سيقصر كثيراً عندما تظهر حقيقة بنك الأهداف الصهيوني: المنازل والأطفال والعائلات والمستشفيات والمؤسسات والنازحون وسيارات الإسعاف والصحافيون والتهجير و و و.

ما يؤكد أن البضاعة إيّاها ما عادت صالحة للتسويق، هو انطلاق عشرات المسيرات الألوفية الضخمة خلال اليومين الماضيين، في واشنطن وسياتل ولوس أنجلس وفلوريدا وتورنتو، وفي لندن وبرشلونة وباريس وجنيف وميلانو وروما وبلفاست، وحتى في ألمانيا، موطن النازية الجديدة، في تحدّ جدّي لمنع التضامن. إنّ الحديث يدور حول عشرات الألوف في كل مسيرة، وخاصة في لندن وبرشلونة وجنيف وفرنسا، فيما لم تجد أنظمة الليبرالية الجديدة، الديموقراطية جداً، في فرنسا وإيطاليا وألمانيا، إلا العصيّ وخراطيم المياه والغاز المسيّل للدموع، للتعامل مع الحق بالتعبير الذي يتغنون به.

يمكن ملاحظة أن الجاليات الفلسطينية والعربية والإسلامية أعلنت «النفير العام» للفعاليات الشعبية المناهضة للعدوانية الصهيونية، وتضامناً مع القطاع والمقاومة، وواضح من حجم الأرقام المتداولة إعلامياً للحشود المتضامنة، أن قطاعات واسعة من المواطنين الغربيين انخرطت في الفعاليات في تأكيد جديد على أن متغيرات بدأت تظهر على صعيد الوعي الشعبي الغربي باتجاه افتضاح كذب الرواية الصهيونية والأخذ بالرواية الفلسطينية.

صراع بين روايتين، فلسطينية وصهيونية، على الرأي العام الغربي. ولكن ينبغي التنويه مقدماً بأن الرأي العام رأيان، الرأي الرسمي ومعه شبكات الإعلام الضخمة المعبرة عن الأنظمة الإمبريالية دونما رتوش، وهذا الرأي العام قادر على التأثير على قطاعات شعبية، وحتى على تغذيتها بحقن العنصرية البغيضة. ولنتذكر العنصرية الشوارعية والمؤسساتية ضد الروس بعد العملية العسكرية في أوكرانيا، وكذا ضد السود في الملاعب. وهناك الرأي العام الثاني الذي يمكن وصفه بالشعبي، والذي يتشكل عبر شبكات التواصل والفعاليات والمبادرات والأحزاب اليسارية والشيوعية والنقابات والحراكات الاجتماعية، الشبابية والنسوية، والذي يؤدي فيه النشطاء الفلسطينيون ومنظماتهم الجماهيرية دوراً مهماً، والذي يبدو أن الفعاليات التضامنية خلال اليومين الماضيين تعبير صادق عنه.

على صعيد الرأي العام الشعبي، يجب أن تتنشط الجهود أكثر فأكثر، فهنا التأثير ممكن، وهذا الرأي العام يملك قوة ضغط شعبية على حكومات الدول، إذ في لحظة يصعب القفز عنه، فيحدّ، بالحد الأدنى، من الاندفاعة الغبية لتأييد العدوان الصهيوني. ويملك القدرة على نسف الرواية الصهيونية من أصولها، وخاصة تلك المفصلية الجوهرية دائماً وأبداً في تلك الرواية وهي الهولوكوست، الذي حوّلته الصهيونية إلى عبء على اكتاف كل أوروبي. إن الهولوكوست النازي الألماني الذي ذهب ضحيته الملايين من الأوروبيين، ومنهم اليهود، نجحت الصهيونية في تحويله من مفصلية ضد النازية الألمانية إلى ورقة ابتزاز برضخ لها الأوروبي، حتى كفر، ليتحوّل اليهودي بعد الحرب العالمية الثانية من ضحية للنازية تكسب تعاطف الغرب وتسليحه وموقفه، إلى مرتكب للهولوكوست الجديد ضد الفلسطيني. ضحية تحوّل إلى جلاد، والغرب الإمبريالي الذي تسبّب في كونه الضحية يدعمه بكل قوة وهو جلاد.

هذه «الإبادة» التي يجرب الاحتلال أن تكون على الهواء مباشرة بدعم من البوارج الأميركية والبريطانية وغيرهما من دول الغرب المعنية بالحفاظ على «المستعمرة»، تعرض لنا، نحن الذين نتابع عبر الشاشات، لكنها بالنسبة إلى الأهل في غزة، فهي الموت، هي التهجير من شمال القطاع إلى جنوبه، حيث الموت. وفي أثناء هذا التهجير وهذا الموت، يجوّع الناس هناك، ويعطّشون، ويمنع عنهم كل شيء، لئلّا يترك أمامهم خيار سوى طلب الخروج. لكنهم قالوا عبر الشاشات، وعبر مواقع التواصل الاجتماعي حين يتاح لهم الإنترنت الذي قطعته إسرائيل أيضاً «لن نخرج وسنبقى في أرضنا». إذاً، هؤلاء، جسدنا الفلسطيني المتروك وحيداً إلا من بضع تعاطف وكتابة وتظاهرات تكبر يومياً في العالم، سيبقى صامداً في أرضه، يحمي القضية الفلسطينية من الإنهاء والبتر من التاريخ، هؤلاء وحدهم، مع بقية الفلسطينيين، وبقية المنخرطين في الجسد الفلسطيني، يمنعون تحويل فلسطين إلى اسم يمرّ في صفحات التاريخ.

ولعل شعبنا الفلسطيني الذي يتمسك بأرضه بالفعل والعمل، وليس بالشعارات والخطابات والرسائل الفارغة، هو وحده المنوط به تحرير أرضه، وهو وحده المحور لهذه الأمة التي وإن حددت بوصلتها بالكلام، إلا أنها على الدوام عينها على مكان آخر، إلا أن فلسطين تعيد الجميع إلى المكان الصحيح، إليها.

* كاتب فلسطيني

(أ ف ب)

طوفان الأقصى

الشهيد عصام عبدالله يلتحق بشيرين أبو عاقلة

صدقيّة «رويترز» تحت حذاء إسرائيل

مرة أخرى، يبرهن الإعلام الغربي أنّه خادم يمين لسردية إسرائيل وممارساتها الوحشية بحقّ كل من يعرّي صورتها التي تعمل على تصديرها إلى العالم عبر جيوشها الإلكترونية ولوبياتها في المؤسسات والقنوات الغربية. «رويترز» قتلت المصوّر عصام عبدالله مرّة ثانية، حين تعامت عن قاتله يوم الجمعة، مصدرةً بياناً مخزياً بحقّ المهنة والإنسانية

زكية الديراني

«غطّى الدم الكاميرات. لم يعرف المصوّر أيها كاميرته. كنا في حالة ذهول، لكني بقيت محافظاً على رباطة جأشي». بهذه العبارة يتذكّر مسؤول النقل المباشر في قناة Ibci روبير غصن في حديثه معنا، المشاهد الأولى لإنقاذ زملائه الصحافيين والمصوّرين الذين أصيبوا جراء استهداف العدو الإسرائيلي لهم مساء الجمعة الماضي في منطقة علما الشعب (جنوب لبنان)، ما أدى إلى استشهاد المصور عصام عبدالله وإصابة عدد منهم. يقول لنا غصن: «مساء الجمعة الماضي، كان فريق قناة Ibci متواجداً بسيارته في منطقة علما الشعب، وفي السيارة الثانية فريق صحافي قناة «الجزيرة» و«وكالة فرانس برس» و«رويترز». كنا نعمل كمجموعات

> أصدرت الوكالة بياناً جباناً تتهرّب فيه من اتهام إسرائيل باستهداف المصوّر اللبناني

بحكم الصداقة التي تربطنا معاً. كنتُ على بُعد أمتار قليلة من سيارة زملائي، أجهّز للرسالة التي سيبثها إدموند ساسين مباشرة على Ibci، حين استهدف الجيش الإسرائيلي رفاقنا الذين كانوا خارج سيارتهم. ركضت بسرعة إلى وجهة زملائي، وجدتهم مصابين على الأرض. سحبت كريستينا عاصي المصورة الفوتوغرافية لدى وكالة «فرانس برس» من بين لهب النار. كما انقذت مجموعة من المصورين قبل أن تندلع النار في المكان. كان المشهد مروعاً. رغم أني عايشت مشاهد مماثلة في حربَي نهر البارد وتموز، لكنها المرة الأولى التي أرى فيها لقطات بهذه القساوة». غصن الذي انضمّ إلى قناة Ibci قبل أكثر من 20 عاماً، يشعر بغصة كبيرة، قائلاً «أنتظر أن تفي كريستينا بوعدها. لقد قلت لها إنّ كاميرتها ستبقى معي وسأزورها في منزلها لأسلّمها إليها باليد بعد شفائها. انتشلتها من بين النيران، وصرخت في وجهها بأنها لن تموت. ممنوع أن تموتي كريستينا قلت لها وانتظرها لأسلمها الأمانة. وقد علمت اليوم أنّها قطعت مرحلة الخطر». إذاً، مرة جديدة، يستهدف العدو الإسرائيلي الجسم الإعلامي الذي يشكّل تهديداً حقيقياً بالنسبة إليه بنقله الحقيقة التي تعرّي الصورة الكاذبة التي داب على صقلها عبر جيوشه الإلكترونية ولوبياته في الإعلام الغربي وبطشه بالرأي الآخر. المخزي كان بيان وكالة «رويترز» في موضوع استشهاد مصوّرها عصام عبدالله الذي قُتل مرتين. الأولى على يد العدو الإسرائيلي جراء صاروخ استهدفه ومجموعة من زملائه في منطقة علما الشعب، ومرة ثانية عندما امتنعت «رويترز» عن توجيه أصابع الاتهام لإسرائيل، على رغم أنّ لا لبس في الموضوع بوجود الفيديوات التي تظهر الاستهداف المباشر للصحافيين من إسرائيل.

بعد ساعات قليلة على إعلان استشهاد ابن الـ 36 عاماً، أصدرت «رويترز» بياناً مخزياً على صفحاتها الرسمية، قائلة إنّ «عبدالله مصور التلفزيون لديها قُتل أثناء نقله للأحداث في بث مباشر»، على حد تعبيرها. وأشارت إلى أن الكاميرا كانت موجهة إلى جانب إحدى التلال عندما هزّها انفجار قوي وملأ الدخان الجو وسُمع صوت صرخات.

بيان «رويترز» كان مشيناً بحق فرد يعمل في طاقمها منذ 16 عاماً، قتل غدماً على يد العدو الإسرائيلي، بينما كان يقوم بمهامه في نقل الخبر من قلب الحدث، لتكون وكالة الأخبار العالمية شريكة في مقتله بعدما رفضت تسمية القاتل بالاسم، فيما اكتفى رئيس مجلس إدارة «فرانس برس» فابريس فريس بالقول إنّه «من الضروري بذل كل الجهود للتحقق من كيفية استهداف مجموعة من الصحافيين المحددين بوضوح والمعتمدين حسب الأصول بهذه الطريقة. نحصّ السلطات المعنية على عدم الاكتفاء بمجرّد الفحص، بل إجراء تحقيق معمّق وتقديم إجابات موثّقة بشكل جيّد وواضحة وشفافة».

لم تمرّ ساعات على بيان «رويترز» الأول الذي أثار موجة سخط على السوشال ميديا، حتى أصدرت بياناً ثانياً يفيد بأنّ «مراسلها عصام عبدالله قُتل في جنوب لبنان بصواريخ استهدفتهم من الجانب الإسرائيلي، مع إصابة ستة صحافيين آخرين». لم تحدد «رويترز» أن إسرائيل اقترفت الجريمة، بل حاولت التلطّي خلف بعض العبارات، مساهمةً في التضليل الذي يمارسه العدو الإسرائيلي، وفي التعمية على الحقيقة. لم تكن تغريدة مدير مكتب «رويترز» في العراق تيمو أزهري على منصة X، أشفى حالاً من بيان «رويترز»، إذ كتب «عصام عبدالله، مصور وكالة «رويترز» قتل عندما تعرض لقذيفة سقطت بالقرب منه مع مجموعة من الصحافيين في منطقة الحدود اللبنانية الجنوبية». هكذا يبرهن الإعلام الغربي مرة أخرى أنّ المهنية والصدقية وغيرهما من الشعارات التي يتشدّق بها ويقيم دورات تدريبية في منطقتنا لـ «تعليم الصحافيين أصول المهنة» كلّها عناوين تسقط تحت حذاء إسرائيل، وهو الخادم الأمين لسرديتها وممارساتها التي تناقض كل المعايير والمواثيق والشرائع الإنسانية.

في السياق نفسه، أعلنت قناة «الجزيرة» عن إصابة اثنين من فريقها هما الصحافية كارمن جوخدار والمصور إيلي براخيا في قصف إسرائيلي على سيارتهما في علما الشعب. وخرج مدير المكتب في بيروت مازن إبراهيم مباشرة على الهواء على المحطة القطرية، متحفظاً على ذكر اسم الشهيد عصام عبدالله، ومؤكداً على إصابة فريق العمل بالقذيفة، بينما كان يقوم بواجبه المهني. كما أعلن عن إصابة مصور الفيديو في «فرانس برس» ديلان كولنز» الذي سبق أن أصيب قبل أشهر خلال تغطيته الحرب الأوكرانية الروسية. ما زاد الطين بلة، هو بيان اليونيفيل الذي قالت فيه «بناء على ما تمكنت اليونيفيل من ملاحظته، لا يمكننا في هذه المرحلة أن نقول على وجه اليقين كيف أصيبت مجموعة من الصحافيين الذين كانوا يغطون الأحداث، وقتل أحدهم».

في هذا الإطار، يلفت مازن إبراهيم مدير مكتب «الجزيرة» في بيروت لنا إلى أن الفريق تعرّض مرّتين للاستهداف المباشر من قبل العدو الإسرائيلي. وشرح قائلاً: «قبل الاستهداف مساء الجمعة، تعرّض فريق «الجزيرة» لصاروخ من قبل جيش العدو خلال قيامنا بواجبنا. إن استهدافنا واستشهاد عصام عبدالله، لن يثنينا عن متابعة عملنا وتغطية الأخبار المتعلقة بالحرب الإسرائيلية. الاستهداف كان متعمّداً لفريق «الجزيرة»». وأكد إبراهيم أن «فريق «الجزيرة» منتشر على كامل الأراضي اللبنانية، و«لدينا ثلاث فرق تقوم بواجبها على أكمل وجه. يعمل الفريق وفقاً للمعايير الدولية لسلامة الأطقم الصحافية، ولدينا كل الشعارات والخوذ التي يضعها الصحافيون. مع ذلك، استهدفنا مرة أخرى بعد استشهاد زميلتنا الراحلة شيرين أبو عاقلة. إننا نحمّل العدو الإسرائيلي مسؤولية ما حصل». وختم إبراهيم كلامه بالتأكيد على أنّ زميليه المراسلة كارمن والمصوّر إيليا براخيا يتمثلان للشفاء حالياً بعد إصابتهما بجروح متوسطة.

الشهيد عصام عبدالله

من تظاهرة في تورنتو الكندية: عصام عبدالله... إسرائيل تقتل الصحافيين (عن حساب الاختصاصية في الإعلام حياة الحريري)

«ميتا» تنخرط في الحرب على فلسطين

بعد ساعات على عملية «طوفان الأقصى»، ومع انتشار فيديوات نسفت صورة الجندي الإسرائيلي إلى الأبد، سارع المفوض الأوروبي للسوق الداخلية، تييري بريتون، في بعث رسائل إلى كلّ من مالك منصة X (تويتر سابقاً) إيلون ماسك، ومؤسس منصة «ميتا» مارك زاكربيرغ، يحثهما فيها على مكافحة «المعلومات المضلّلة والخطا» عاجلاً. ماسك المستفيد من لجوء جموع المستخدمين إلى X لنقل الأخبار أو لقراءتها لم يأبه للرسالة الأوروبية، في حين ان زاكربيرغ امعن في قمع الصوت الفلسطيني والعربي الذي ينثّ أمام مشاهد القتل والدمار

علي عواد

في عصر الديجيتال الحالي، تعدّ مواقع التواصل الاجتماعي ساحة يتجمع فيها الناس من أنحاء العالم جميعها للتعبير عن أفكارهم ومشاركة تجاربهم والدفاع عن قضايا مختلفة. ومع نمو نفوذ هذه المنصات والحاجة إليها ومدى انتشارها، صارت تمارس رقابة على حرية التعبير تخدم أهدافاً سياسية وقيماً غربية ليبرالية، من دون أي اكتراث للتبعات. هي قوية لدرجة أنّها لا تأبه إذا بقينا نستخدمها أم لا.

للعرب عموماً، والفلسطينيين خصوصاً، علاقة مضطربة مع مارك زاكربيرغ ومنصاته المتعددة. الرجل يسلّط خوارزمياته ضد القضية الفلسطينية منذ سنوات. الآلاف من حسابات المؤثرين العرب أسكتت وثريدز. يتحدثون عن قمع غير مسبوق واجهوه على تلك المنصات، وتحديداً إنستغرام التي منعت البث المباشر وأزالت المحتوى وحجبت رؤية حسابات المستخدمين، كما حظرت هاشتاغات معينة مثل #alaqsafood و#hamas. من ناحيته، فعل فايسبوك الأمر نفسه مع هاشتاغات باللغة العربية متعلقة بـ «طوفان الأقصى». القاسم المشترك بين القمع الذي واجهه المستخدمون، تعرُّضهم لـ shadow ban. فعلى سبيل المثال، من وضع «ستوري» أو نشر «فيديو قصيراً» (Reel)، وجد أنّ هذه المنشورات لم يرها أحد سوى حسابين على أبعد تقدير. ولمواجهة خوارزميات «ميتا»، ينقل المستخدمون تجاربهم الخاصة عن الـ «حيل» التي نجحت معهم حتى الآن للتعبير عن تضامنهم مع الشعب الفلسطيني. فمنهم مثلاً من كتب نصاً أو نشر فيديو، ضمّنه «إيموجي» علم كيان الاحتلال. وهناك من اعتمد أسلوباً أكثر تحايلاً ودهاءً، عبر الكتابة باللغة العربية القديمة (أي بدل دون ضاط) التي لا تستطيع خوارزميات

> إزالة صفحة «شبكة قدس الإخبارية» عن فايسبوك

زاكربيرغ فهمها. علماً أنّها ليست المرّة الأولى التي يلجأ فيها مناصرو فلسطين إلى هذا الأمر في مواجهة طواغيت السوشال ميديا (يمكن تجربد النصوص العربية من النقاط عبر موقع: seen-arabic.github.io/Arabic-Services/old-arabic).

في الحروب الإسرائيلية على فلسطين، يظهر أمر متكرر يتمثل في قمع يستهدف مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي الفلسطينيين. والجدير ذكره أنه في عام 2021، فرض إنستغرام رقابة مؤقتة على المنشورات المتعلقة بالمسجد الأقصى في القدس المحتلة. وفي العام الماضي، وفي أعقاب الغارات الجوية الإسرائيلية على قطاع غزة، شكى المستخدمون الفلسطينيون الذين شاركوا صور الدمار على إنستغرام من إزالة منشوراتهم لانتهاكها «معايير مجتمع ميتا». في المقابل، مُنح المستخدمون الأوكران تصريحاً متفرّداً لمشاركة صور مماثلة، وهو ما بُرّر على أساس أنّها «جديرة بالنشر». في هذا الصدد، تقول مديرة الأخبار الفلسطينية في «موندويس»، يمنى باتل، في تقرير نشره موقع «ذي إنترسبت» يوم الأربعاء الماضي، إنّ الرقابة على الأصوات الفلسطينية والمدافعين المؤيدين للفلسطينيين ووسائل الإعلام البديلة التي تنشر تقارير عن ممارسات الاحتلال الإسرائيلي موثقة على نطاق واسع. وتشمل تعليق الحساب وإزالة المحتوى والحد من ظهور المنشورات. وأشارت باتل إلى أنّ وتيرة هذه الانتهاكات تميل إلى الارتفاع في مُدد العنف المتزايد والاهتمام العالمي بالوضع الفلسطيني، مستشهدة بحالات أثناء احتجاجات الشيخ جراح قبل عامين، والعمليات العسكرية الإسرائيلية في الضفة الغربية في العام الحالي، والحرب الحالية على غزة. وتكشف يمنى باتل عن قمع آخر واجهه الموقع الذي تعمل لمصلحته عبر تبك توك، إذ حُظر حسابه «نهائياً» أثناء تغطيته الأحداث الجارية في فلسطين. ومع ذلك، رُفع هذا الحظر بسرعة بعدما أضاءت وسائل الإعلام على المسألة. لكن رغم إعادة تفعيل الحساب، حجب تبك توك فيديوات الحساب في الضفة الغربية وأجزاء معينة من أوروبا.

انحيازٌ ميتا الكامل لكيان العدو ليس مستغرباً. في هذا السياق، حُذفت أوّل من أمس السبت صفحة «شبكة قدس الإخبارية» عن فايسبوك، بعد تشغيلها لأكثر من 10 سنوات. وبعدها بساعات، تقدمت شركة البث الفرنسية «يوتلسات» بطلب لحجب «قناة الأقصى» التابعة لـ «حركة حماس» من وسائل الإعلام كافة. في الإطار نفسه، أصدرت «حماس» بياناً عبّرت فيه عن معارضتها الشديدة للحظر الذي وصفته بأنه «محاولة متعمدة لمنع وصول المعلومات عمّا يحدث في غزة إلى المواطنين في فرنسا». وأضافت أنّه «إجراء صهيوني متعمد ضد وسائل الإعلام التي تغطي الفظائع في غزة».

الحصار في عصر الديجيتال يأخذ أيضاً صورة قطع الإنترنت وقمع حرية التعبير على الويب. ما نفع تلك الهواتف الذكية كلها إن كانت لا تستطيع نقل ما يحدث؟ إجرام ووحشية غير مسبوقَين يريدان كسر الروح الإنسانية. يريدون للإبادة أن تحدث في العتمة. أن تتبخر عائلات بأكملها من دون نَفَس يعترض على ما يحدث.

طوفان الأقصى

الإعلام الغربي ملطّخ بدماء غزة

على «الحرة» المجدُ للفوسفور الأبيض... وbbc شريكة في الجريمة

شهد مقرّها في لندن تظاهرة منددة بانحيازها لإسرائيل

تهاني نصّار

على مرّ التاريخ، ومع تطور وسائل الإعلام الكلاسيكية من مطبوعات وتلفزيون قبل ظهور الوسائل الحديثة التي جاءت مع عصر الإنترنت، نجحت هذه الوسائل الجماهيرية في تشكيل الرأي العام عبر إستراتيجيات متنوعة مثل الدعاية والتلاعب بالأخبار وتضليل الجماهير. يوضح اللغوي والناقد الأميركي نعوم تشومسكي أن الدعاية الإعلامية أسهمت في خلق

> «سكاي نيوز» حاولت ممارسة نوع من «التقية» الإعلامية

حركات اجتماعية، أو تجييشها، أو القضاء عليها عبر تبرير الحروب وتحفيز أيديولوجيات معينة وإقناع النفس الجماعية (collective psyche) بأنّ الإعلام هو منتج للواقع. عمل تشومسكي على فضح هذه الممارسات واعدّ لائحة بعشرة تكتيكات يقوم بها الإعلام بفعالية في سبيل التلاعب بالناس أشهرها استخدام الجانب العاطفي في تغطية الأحداث الهامة بهدف تحييد الحس المنطقي والتحليل العقلاني من قبل المتلقي/ المشاهد، وتعزيز الشعور بالذنب لديه. منهج استخدمته وسائل الإعلام الغربية في تغطيتها لمعركة «طوفان الأقصى» وظهر جلياً في محاولتها توحيد خطابها، وخصوصاً خلال استضافتها فلسطينيين وعرب داعمين ومدافعين عن القضية الفلسطينية في وجه الإبادة التي يمارسها العدو الصهيوني في قطاع غزة.

وعلى الرغم من سعيها الدائم لشد التعاطف مع اليهود والإسرائيليين في كل مناسبة عبر التذكير بالهولوكوست وجرائم النازيين وحكومة هتلر الفاشية التي استخدمت سلطتها ونفوذها ودعايتها الإعلامية للتخلص من اليهود، نجد وسائل الإعلام الأميركية والأوروبية تسعى جاهدة إلى تبرير فاشية الصهيوني وعنصرية حكومته وجرائم حربه بحق الفلسطينيين والعرب. تستعمل قنوات التلفزة والصحف الغربية أسلوب البروباغاندا كما وصفه هتلر بالضبط في مذكراته، فالدعاية لا تبحث عن الحقيقة الموضوعية ولا تظهر سوى جانب واحد يهدف إلى تحقيق مصلحتها، وعامة الشعب «لا تتكون من ديبلوماسيين أو أساتذة في الفقه العام ولا من مجرد أشخاص قادرين على تكوين حكم منطقي في حالات معينة، بل تتكون من حشد متذبذب من الأطفال البشر الذين يتأرجحون باستمرار بين فكرة وأخرى».

تتّصف وسائل الإعلام الكلاسيكية مثل «بي. بي. سي» بمهنية عالية فتتباهى باحترافيتها الفريدة. آمر بدركه العامة مثلما يفعل الإعلاميّون المتخصصون، لكن مهنية المؤسسة الإعلامية هذه لا تعني حكماً التزامها بأخلاقيات المهنة وقيامها بواجبها الأساس في نقل الأخبار، كما لا يعني بالضرورة التزامها بمعايير ثابتة. فقد باتت ازدواجية المعايير، وتكتيك جعل الآخر يشعر بالذنب عبر الضغط المفاجئ على سبيل المثال مع ضيف القناة، سفير فلسطين في بريطانيا حسام زملط، حين حاولت المذيعة جزم إلى إدانة معركة «الطوفان»، فجاءت إجابته ذكية غير مبرّرة بقدر ما كانت تهاجم القناة وتتّهمها بهوسها في إدانة الضحايا.

مع بداية عملية «طوفان الأقصى»، بدا الإعلام البريطاني «صادقاً» أكثر من المعتاد. عنونت صحيفة الـ «تايمز» البريطانية الشهيرة: «إسرائيل تنشر صور أطفال مشوهين»، فيما أظهرت صوراً لأطفالٍ يبدو أنّهم تعرضوا لكارثة كبرى أشبه بالزلزال. ثيابٌ ممزقة، آثار تربة، دماء ودموعٌ متناثرة على الوجوه، وشيءٌ كبيرٌ من الذهول والصدمة، ناهيك بالصراخ والرعب. تكمل الصحيفة الغربية: «هذه هي أصعب صورة نشرناها على الإطلاق، نحن نرتجف خلال كتابة هذه الكلمات، لقد ترددنا كثيراً في نشر هذه الصورة، ولكننا بحاجة إلى أن يعرف الجميع أن ذلك قد حدث». هنا يظهر للقارئ أن الإعلام الغربي قد حقق هدفاً قاتلاً في مرمى خصومه: عرّى روايتهم الكاذبة، فضح وحشيتهم وكذبهم، وفوق كل هذا أظهر تعاطفه مع الضحايا محافظاً في الوقت عينه على مهنيةٍ حاضرة وبديهية متمكنة. هذا كلّه كان ليمر، لولا أن الصحيفة نفسها كتبت تحت صورة الأطفال بخطٍ صغير للغاية: الصورة المنشورة هي لأطفالٍ فلسطينيين.

في المُعتاد، وفق المتوقع، فإن القارئ سيظنّ إلى العنوان ثم الصورة أو بالعكس، ولكن قلّما قرأ أو تنبه للكلام المكتوب على الصورة بعد «هول ما رآه وقرأه»، فبدل الغوص في تفصيل الصورة بحد ذاتها ليعرف أسماء الضحايا أو مكان التقاطها، سيهتم أكثر بقراءة المقال. إذاً هي مثل لعبة smoke and mirrors، بحيث يظهر لك الساحر شيئاً فيشغلك به، ثم ينفذ ضربته الكبرى. في الصفحة الثالثة، أكملت الصحيفة المقال، وهنا وضعت صورةً مشكوكاً بأمرها، صنعت بواسطة تقنيات الذكاء الصناعي الحديثة. هنا يتجلى كيف يعمل الإعلام الغربي في التعامل مع القضية والشعب الفلسطينيين منذ بدء أحداث «طوفان الأقصى». وكان عدد من الناشطين الإعلاميين أمثال الأميركي جاكسون هينكل، والمغني لو كي، أشاروا إلى هذه اللعبة الإعلامية التي باتت ظاهرة وبائنة. ولأنّ الأمر بات أشبه بسباق بين الإعلام الغربي في محاولةِ تقديم الصهاينة بأحسن شكل، بدا العدو الصهيوني في القصف الحالي لمدينة غزّة، واستندت إلى مصادر عدّة خاتمة المقال بصورة عنونتها: «الفوسفور الأبيض غير محظور كسلاح كيماوي». إلى هذا الحد تطوّر الكذب في صنعة الإعلام هذه الأيام. إذ إن الأمر تعدى مرحلة نقاش إيقاف الحرب أو إجرامها، إلى تبرير وحشية إسرائيل بأي ثمن. أما «سكاي نيوز» فهي تمارس نوعاً من التقية الإعلامية، إذ سال أحد إعلاميّيها رئيس وزراء حكومة العدو السابق نفتالي بينيت: «ماذا عن الأطفال المهددة حياتهم بسبب انقطاع الكهرباء؟» (ويقصد أطفال غزّة بعد قطع الاحتلال الكهرباء عن غزّة)، ليجيبه بينيت: «هل أنت جدّي؟ تسألني عن المدنيين في غزّة؟ ما الذي يجري معك؟» هذه الإجابة، والصمت الذي تلاها، يؤكد أنّ «سكاي نيوز» ليست متعاطفة، بل شريكة أيضاً. في مقابلة عبر الفيديو لمراسلة القناة الأميركية آنا بوتنغ مع الناطق العسكري باسم جيش الاحتلال بيتر ليرنر، تسكت وتستمع فيما هو «يعلّمها» كيف يجب أن تستقي الأخبار، مشيراً إلى أنه يجب «أن نكون حذرين وحريصين للغاية في الحكم قبل أن نرى الحقائق». فلنغيّر المشهد قليلاً: ماذا لو أن الناطق هذا كان باسم «كتائب القسام» أو «سرايا القدس»، هل كانت بوتنغ لتقبل بتلقينه إياها درساً في الإعلام؟ هل كانت لتبقى في وظيفتها في المحطة أصلاً؟

ولكي تكتمل الصورة، نشرت «هافنغتون بوست» مقالاً للكاتب أكبر شهيد أحمد، يشير فيه بذهول تام، إلى مذكرة داخلية أصدرتها وزارة الخارجية الأميركية لدبلوماسييها في الخارج، مادةً إياهم بإرشاداتٍ حول «الكلمات والتعابير والجمل» التي يجب أن يستخدموها في حديثهم عن العدوان الحالي على غزّة. وكانت الخارجية الأميركية قد طلبت من سفرائها عدم استخدام التعابير الثلاثة التالية: «وقف إطلاق النار/التقليل من التصعيد» (de-escalation/ceasefire)، و«إنهاء العنف/ سفك الدماء» (end to violence/bloodshed)، و«حفظ الهدوء» (restoring calm). ويظهر من تحديد التعابير هذا أن الأميركي يريد أن يتجنّب الدبلوماسيون «الحد» من جموح كيان الاحتلال في عدوانه على غزّة وأهلها؛ وهذا الأمر كان الرئيس الأميركي الحالي بايدن قد أكده مراراً وتكراراً عبر دعمه اللامشروط وغير المحدود للاحتلال الصهيوني بدءاً من تبنيه قضية الأطفال الإسرائيليين مقطوعي الرأس التي أثبت كذبها، وصولاً إلى الطائرات المحمّلة بالعتاد والأسلحة الذي يصل تباعاً للكيان العبري.

في الختام، نشر المفكر الأميركي نورمان فينكلشتاين تغريدة عن اقتباس لكلام رئيس الوزراء الأول للعدو ديفيد بن غوريون في عام النكبة يقول فيها: «لم يبقَ لعرب أرض إسرائيل سوى مهمة واحدة وهي الهروب»، ثم أتبعها بأخرى مقارباً بين ما يقوم به «جيش» الاحتلال وخطة القتل التي اتّبعتها جحافل المغول «ستقضي إسرائيل على كل ما يتنفس في النصف الشمالي من غزة ثم تعلنها منطقة أمنية إسرائيلية جديدة». إذاً هذا ما تطمح إليه حكومة الاحتلال، والإعلام الغربي يساعد في التستر على جرائمها الحربية والإنسانية ويشيّه مقاتلي المقاومة الفلسطينية بـ «داعش» ليُخيف الجماهير ويستمد الشرعية الشعبية والغربية لارتكاب نكبة جديدة في تاريخ الفلسطينيين.

بزرت «الحرة» استخدام إسرائيل للفوسفور الأبيض في فلسطين ولبنان

غضب جماهيري على «الملكّ المصري»

«طوفان الأقصى» يُغرق محمد صلاح؟

القاهرة ـ لبنى سليمان

تأثيرات «طوفان الأقصى» باتت غير قابلة للحصر، إذ لم يتوقع عدد من المشاهير العرب، وفي مقدمتهم نجم الكرة المصرية محمد صلاح، أن تطالهم صواريخ حرب السابع من أكتوبر. غير أنّ الجمهور هو من يطلقها هذه المرة عقاباً على الصمت غير البليغ تجاه الإبادة الجماعية التي يتعرض لها أهالي قطاع غزة على يد جيش الاحتلال الذي فقد هيبته المزعومة. أكثر من مليون متابع فقدهم نجم الفراعنة ونادي «ليفربول» الإنكليزي، محمد صلاح، عبر فايسبوك فيما يكاد يصل العدد إلى نصف مليون عبر إنستغرام. رد فعل جماهيري يخفف من تأثيره مناصرو صلاح ظالماً كان أو مظلوماً. لكن ما لا يمكن إغفاله أنّ اللاعب المقلب في ملاعب الإنكليز بـ «الملك المصري» يتعرّض لحملة انتقادات هي الأعنف في مشواره المرصع بالأرقام القياسية والذي يعتبر الأهم للاعب عربي مسلم في الملاعب الأوروبية منذ اختراع لعبة كرة القدم.

صلاح ليس الشخصية الشهيرة الوحيدة التي اعتصمت بالصمت طوال الأيام العشرة الماضية. منهم من قرر الكلام أخيراً بعدما تأكّد للجميع أنّ الحرب ستطول والصمت على ما يجري في غزة سيستحيل عاراً قد لا يمحوه الزمن. غير أنّ أسباباً عدّة حوّلت «أبا مكّة» إلى هدف لقصف جماهيري غير مسبوق، أهمّها على الإطلاق إدراك التأثير الذي يملكه «فخر العرب»، وخصوصاً في الإعلام البريطاني، وهو الذي يتصدر الصفحات الأولى طوال الوقت. وبالتالي، فإنّ أي كلمة دعم كانت ستخرج منه، ولو عبر صورة أو تغريدة، كانت ستجد طريقها للنشر في وسائل إعلام عالمية، ما قد يحقق ولو قدراً من التوازن مع الآلة الإعلامية الإسرائيلية والغربية المعنية في التضليل، وتحاول النجاح في ما فشل فيه جيش الاحتلال. هذه المؤسسات هاجمت المقاومة بضراوة وشوّهت صورتها إلى حد ترويج الرئيس الأميركي جو بايدن لأكذوبة الأطفال الأربعين الذي ذبحتهم «حماس» قبل أن يتراجع ويعتذر عنها.

أما السبب الثاني، فهو أنّ صلاح لا يستطيع التعبير عن رأيه السياسي بسبب التزاماته التعاقدية كونه لاعباً في نادٍ إنكليزي. سبب كان يخفف من حدّة الهجمات ضد محبوب جماهير الـ «ريدز»، إلى أن تحرّك زميله في مشوار الاحتراف، نجم «أرسنال» محمد النني، فقد نشر الأخير صورة للمسجد الأقصى معلناً تضامنه مع الفلسطينيين، ليجد صلاح نفسه في «مصيدة التسلّل»، بعدما تحمّل النني انتقادات واسعة من رابطة مشجعي «أرسنال» اليهود. وسبقت ذلك تحركات من لاعبين دوليين آخرين، أمثال السنغالي ساديو مانيي والجزائري رياض محرز اللذين يلعبان في الدوري السعودي. ثمّ تحرّك أخيراً مهاجم المنتخب المصري، أحمد حسن كوكا، ليصبح صلاح الصامت الوحيد من دون مبرّر مقنع للملايين المصدومين به.

يُضاف إلى كل ما سبق أنّ صلاح موجود حالياً مع المنتخب المصري في معسكر تدريبي في أبو ظبي. ولعب الفريق يوم الجمعة أمام زامبيا بمشاركة «الملك المصري»، على أن يلعب اليوم الإثنين أمام الجزائر. انتظر جمهور المحروسة أي تحرك من قبل نجمه المحبوب، غير أنّ هذا لم يحدث لغاية كتابة هذه السطور. وإن كانت هناك تعليمات للجمهور المصري في أبو ظبي بعدم حمل العلم الفلسطيني في مباراة زامبيا، لكن يفترض بنجوم الكرة أن يعثروا على طرق بديلة إذا أرادوا فعلاً إحراز

> يرى محبّو نجم الكرة المصري أنّ تغريدة منه «لن تحرّر القدس»

الأهداف. والمطلوب فقط هزّ الشباك الإسرائيلية بموقف تضامني يُفيد ولو معنوياً المحاصرين في غزة.

الدعم المعنوي كان نقطة الجدال الأسخن بين «الصالحيين» والمنتقدين. محيّو محمد صلاح يرون أنّ تغريدة منه «لن تحرّر القدس»، وأنّ التوقف عن متابعته لن يضره في شيء من جمهور معدوم الحيلة يرمي بحمله على الشخصية المصرية الأهم عالمياً. أمام صمود موقف المهاجمين الذين ذكّروا «الصالحيين» بأنّهم وقفوا وراءه في كل الاستفتاءات، وتابعوه منذ كان احتياطياً في فريق «تشيلسي» الإنكليزي، صفّقوا له طويلاً وهتفوا باسمه كثيراً. لكن عندما أرادوا منه كلمة لم يسمعوا إلا صمتاً، كأن صلاح اختار ما يجري في غزة ليطبق عليه عنوان كتابه المفضّل «فن اللامبالاة». سكت محمد صلاح في وقت يعدّ فيه الكلام واجباً. والكل الآن ينتظر ما إذا كان سيخرج من هذه الأزمة بسلام ويستعيد احترام متابعيه، أم سينضمّ فعلياً لضحايا «طوفان الأقصى».

الأخبار
al-akhbar
الإثنين 16 تشرين الأول 2023 العدد 5036

هوامش على دفتر «الطوفان»

من أعمال الفنانة الشهيدة

هبة زقوت تكمل جدارية الشهادة

ريما النخل

كانت للفنّ والفنانين حصّة أيضاً في الإبادة الجماعيّة التي يتعرّض لها مدنيّو غزّة. بين آلاف الشهداء، أطفالاً ونساءً، شيباً وشبّاناً، ارتفعت شهيدةً الفنانة التشكيليّة هبة زقوت (39 عاماً) مع أطفالها، لتكمل جداريّة الشهادة والمأساة.

هبة زقوت، رسّامة الأكريليك، التي كانت تدرّس الفن في مدرسة حكومية في القطاع، هي خرّيجة «جامعة الأقصى» في غزة عام 2007. شاركت في معارض عديدة في الداخل والخارج. ومن معارضها المنفردة «أطفالي في الحجر الصحي» (2021). تتميّز لوحات زقوت عموماً برسم البيوت والمآذن والقباب والكنائس الفلسطينية، تأكيداً على الهوية الفلسطينية، معبّرة عن القضية بأسلوب مباشر. وعلى رغم الظروف القاسية والمعاناة المستمرّة منذ سنوات بعيدة، بقيت زقوت في غزة، وكتبت قبل ثلاثة أيام من استشهادها مع عائلتها: «اللهمّ نستودعك قلوباً مفجوعة بالفراق، اللهمّ اجبر كسر قلوبنا واجعلنا لقضائك وقدرك صابرين. يا ربّ كن معنا وقوّنا وزدنا صبراً وآجرنا على صبرنا. اللهمّ اربط على قلوبنا، فإنها لا تقوى ولا تستند إلّا بك». ومن أحدث الرسوم التي نشرتها زقوت في الفترة الأخيرة واحد للقدس المحتلّة، وآخر للمسجد الأقصى الذي ترفرف الأعلام الفلسطينية في باحته وسط أجواء من الفرح والألعاب النارية... إلى رسم آخر، قبل نحو أسبوعين من الاستشهاد، وتظهر فيه امرأة حزينة تحمل حمامة سلام، وترافق الرسم كلمات: «نحن دائماً في بحث عن الأمان في حياتنا. قد نجده في الحب ولكننا سنظل نبحث عنه».

المرأة ذات حضور طاغ في لوحات هبة زقوت، بل هي بطلة هذه اللوحات التي تروي همومها ومعاناتها في ظل التهميش بسبب الحصار الإسرائيلي وواقع الفقر الذي ترزح غزّة تحته، ومثله الواقع الاجتماعيّ الضاغط. وتظهر المرأة في أعمالها بزيّها الفلسطينيّ التقليديّ، تارة حزينة، وطوراً متفائلة، قوية ومناضلة. كما ترسم المرأة الأمّ بحنانها على أطفالها وخوفها عليهم من المرض أو الوباء (زمن الكورونا) وما كانت لتتوقّع أن يستشهد أطفالها بالوحشية الإسرائيلية. رسمت الفنانة الشهيدة هبة حالات الخوف والمعاناة والحزن والنضال، ورسمت في موازاة ذلك الفرح والإشراق والأمل، بألوان زاهية فرحة تزيّن البيوت والبساتين والأزهار والطيور، لتعبّر عن الأمل والحلم بحياة أفضل مستقبلاً تليق بكرامة الإنسان الفلسطيني وعزّته وبطولته وحقّه في العيش بسلام على أرضه التاريخية. على أجنحة الرجاء رسمت الحلم والأمل اللذيْن لا يستطيع المحتلّ المتوحّش قتلهما في الروح الفلسطينية الحيّة.

على بالي

أسعد أبو خليك

غير صحيح أنّ الغرب يكره كل العرب وكل المسلمين. هذا افتئات على شعوب الغرب. صحيح أنّهم يمقتوننا في أكثرنا، وأنّهم يتمنّون لو يستطيعون طردنا بالجملة من بلادهم، أو على الأقل وضعنا في مراكز اعتقال لتأديبنا، لكن لا يكرهوننا كلّنا. هناك في كل بلد غربي، عربي أو مسلم مَرضي عنه من المؤسّسة الحاكمة والمجتمع. خذوا الـ «سير» طارق أحمد في بريطانيا. هذا مُسلم مطيع، لا بل كثير الطاعة. هذا مؤيّد لإسرائيل ويتضاحك دوريّاً مع حكام إسرائيل. هذا لا يستنكر إلا «الإرهاب الفلسطيني»، ولم يسبق له أن وصف إرهاب إسرائيل بالإرهاب. والوضع العربي مزرٍ في بريطانيا إلى درجة أنّ سفراء الجامعة العربيّة اجتمعوا مع السير طارق أحمد للمساعدة في وضع غزة. في أميركا، كان عندنا أوّل صهيوني عربي مُجاهِر، فؤاد عجمي، وتبعه كثيرون. هنا، باتت المنظّمات الصهيونيّة توظّف عرباً كي يغرّدوا ويكتبوا دعاية إسرائيليّة بالعربيّة والإنكليزيّة (لكنّ خطة استدراج العرب أو مناقشتهم من قبل هؤلاء فشلت، لأنّ الإسرائيليين هم الوحيدون الذين يتجاوبون معهم). في فرنسا، كان لديهم محمد أركون، وكانت الطبقة الحاكمة تريد لجميع المسلمين أن يكونوا مثله. هو المثال الأعلى لوزراء الداخليّة الفرنسيّين العنصريّين. كيف لا، وهو الذي أسبغ شرعيّة على قانون العلمانية المزيّفة الذي استهدف المسلمين وحدهم؟ الكاتب الطاهر بن جلّون كتب في مجلة «لو بوان» أوّل من أمس، وأعلن موت القضيّة الفلسطينيّة. المفارقة أنّ صعود فؤاد عجمي (السياسي وليس الأكاديمي، ومحسن مهدي في جامعة هارفرد كان دائماً يقول إنّ شخصيّة عجمي هي إعلاميّة ـ سياسيّة وليست أكاديميّة) جاء بعدما أعلن موت القوميّة العربية. وبن جلّون يرسّخ أسوأ أنواع التنميط الغربي الصهيوني عن العرب، إذ يقول إنّ الاستهداف كان موجّهاً ضد اليهود. لا أفهم هذه النظريّة الصهيونيّة العريقة. هل يعني هذا لو أنّ اليهود في أرض فلسطين اعتنقوا ديناً آخر غير اليهودية، كان سيحتفل الفلسطينيّون بهم كمحتلّين؟ يصف العرب بالبربريّة، وهو الذي قتّر في نقد إسرائيل، ما أصعده السلّم. بن جلون سينال نوبل الآداب على هذه المقالة.

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن
شركة أخبار بيروت

رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

المدير الفني
صلاح الموسى

المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
تلفاكس: 01759500 01759597
ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 666314 /01 ـ 828381 / 03
الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com